الجهاد مفهومه وضوابطه

دكتور
محمود محمد محمد عمارة
الأستاذ بجامعة الأزهر

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

١١٧٣٦	٢٠٠٤

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

مطابع التوحيد الحديثة بشبين الكوم ت: ٠٤٨/٣١٥٤٢٠

الأزهر

مجمع البحوث الاسلامية

الإدارة العامة لشئون مجلس المجمع ولجانه

فضيلة الأستاذ الدكتور / محمود محمد عمارة

عضو مجمع البحوث الإسلامية ...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد :

فقد تدارست لجنه العقيدة والفلسفة بالمجمع فى جلستها السابعة المنعقدة بتاريخ ١٤٢٤/٣/٥ هـ الموافق ٢٠٠٣/٥/٦ م موضوع

[«الجهاد فى الإسلام » تحديد مفهومه وضوابطه الشرعية] ..

ورأت اللجنه الكتابة إلى فضيلتكم بإعداد بحث عن هذا الموضوع للاستعانه به فى الرد على الحملات التى تثار ضد الإسلام وتتهمه بالعنف والإرهاب .. لذا ترجو من فضيلتكم التكرم بموافاتنا بالبحث فى أقرب فرصة . ليتسنى لنا عرض على اللجنة ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

تحرير فى : ٩ من ربيع الاول ١٤٢٤ هـ .

الموافــق : ١٠ من مايــــو ٢٠٠٣ م .

مدير عام الإدارة العامة

لشئون مجلس المجمع ولجانه

صابر أحمد حسن تعلب

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

كلفتنى لجنة «العقيدة والفلسفة » مجمع البحوث الاسلامية باعداد بحث عن : (الجهاد فى الإسلام : مفهومه وضوابطه)

وكان هذا التكليف ثقة أعتزبها .

يضاعف من هذا الاعتزاز أن السادة أعضاء اللجنة المرقرة لهم ورهم المرفوق فى خدمة الدعوة الاسلامية . ولهم فى عرض قضاياها باع طويل .

وهو السبب الذى ضاعف من إحساسى بالمسئولية .. لأن تحقيق رغبة مثل هؤلاء العلماء ليس بالأمر اليسير .

يضاعف إلى ذلك أن اتجاهى الأدبى فى تناول الأمور لايساعد على إنجاز عمل « أكاديمى » يراد تحديد مفهومه . وضوابطه .

ولكننى أعدت النظر فى كتاب «التكليف» .. مركزا على سبب هذا التكليف .. فإذا هو :

(الرد على الحملات التى تثار ضد الاسلام . وتنتهمه بالعنف والارهاب) .

وقلت : لقد وجدتها !

فالمطلوب هو :

تصحيح فكرة «الجهاد» فى ذهن خصومنا .. تصحيحا ترتدبه هذه الحملات خاسئة وهى حسيرة .. ثم يتأكد به فى النهاية أن الاسلام دين السلام .. وليس دين الارهاب ..

وإذا كان من خصومنا « متخصصون » يتولون كبر هذه الحملات المغرضة .. فإن الرد المنهجى أليق بهم .. وهو اللغة التى بها يخاطبون .

وقد حاولت فى مفتتح هذا الكتاب أن أكون « أكاديميا » ..فتحدثت عن :

الجهاد :

مفهومه . مراتبه . مجالاته . ضوابطه :

أ - قبل القتال .

ب - وأثناءه

جـ - وبعد أن تضع الحرب أوزارها .

إلى بعض النماذج العملية . التى تجعل من هذه المعانى واقعا ملموسا .. لا مجرد حبر على ورق .

وكان ذلك على مدى ستين صفحة تقريبا .. انتهت بها مهمتى التى كلفت بها من قبل اللجنه الموقره .

ولقد تحسست مشاعرى عند هذا الحد . فإذا نداء من أعماقى يهتف بى :

مايزال الموقف يحتاج إلى مزيد من البيان : فالمتهمون .. مغرضون :

ومعنى ذلك أن الرد الاكاديمى ربما لايستأصل من قلوب الخصوم فكرتهم المغرضة عن الاسلام .

وإذا .. فلا بأس من مزيد من الايضاح الذى تصح به الافكار .. لتتماسك فى أذهان القوم .. كما هى فى الواقع :

إن القوم هناك يتصورون الاسلام سينا وصلت على رءوس العباد ..

متجاهلين أن انتصار المسلمين كان بسبب أمور من وراء السيف :

فالوحدة الجامعة .. سلاح من أسلحة النصر ..ثم الكلمة الطيبه ..

إلى جانب روح السماحة السارية فى تعاليمة سريان العصارة الحية فى الشجرة الخضراء .. والتى تجعل من هذه السماحة لحمة هذا الدين .. وسداه ..وليس الارهاب والقتل الذى يزعمون .

وكان لابد من حديث حول هذه القضايا تتم به كلمة ربك صدق وعدلا

حديثا يؤكد فى النهاية صدق ما قرره شيخا «الغزالى » الذى قال :

إن الاسلام لم ينتصر بالسيف . ولكنه انتصر على السيف !!

د . **محمود محمد عمارة**

الفصل الأول

نظـرة عامـــة

وتشمل : الجهاد :

مفهومة . مراتبه . مجالاته . ضوابطه

الإسلام يغالى بالحياة

فى حوار مع شاب عربى . قال الفتى محتداً :

لايطفئ غيظى أن أشترك فى مظاهرة صاخبة بينما الرفاق هناك يسقطون .. لابد من دور عملى أحمل فيه السلاح فى معركة حياة أو موت .

ثم قال : لابد من الإرهاب .. وديننا يأمرنا بالإرهاب !!

وقلت له : هات دليلك .. قال:قوله تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ماستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ الأنفال الآية « ٦٠ »

وقلت له : تأمرنا الآية بالإعداد : ﴿ وأعدوا ﴾

وأما « ترهبون : ففعل مضارع .. يحدد هدف هذا الإعداد وهو : إخافة العدو حتى تتراجع لديه فكرة الحرب .. فيلقى السلاح .. فلا يكون قتال بالمرة » .

والتعبير بالمضارع يعنى دوام الاستعداد .. لنظل فى الموقف الأقوى دائماً : قوة يعمل لها الأعداء ألف حساب .. وكلما جددوا سلاحاً .. كلما سابقناهم فسبقناهم إلى اختراع أقوى منه .

وبذلك تصان دماء الإنسان حيثما كان .. بما فيها دماء أعدائنا .. وتلك إنسانية الاسلام .. دين السلام .

السلام : الذى إذا دعينا إليه أجبنا .. وذلك قوله تعالى :

﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ﴾ الأنفال الآية « ٦١ »

ولكنه السلام من مركز القوة .. السلام المحروس بالإعداد والاستعداد .. والذى يكف الله به بأس الذين كفروا .

أما إذا انطلق السلام من معنى الضعف فإنه يعنى : الاستسلام .. الذى يرفضه الإسلام .. وذلك قوله تعالي :

﴿ **فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون ..** ﴾ محمد ، الآية « ٣٥ »

ومن معاني ماسبق :

حرص الإسلام على حياة الإنسان التى يجب أن تصان .. حرصاً بلغ الغاية فى الحفاظ عليها إلى حد أنه اعتبر قتل نفس واحدة بغير حق قتلاً للبشرية جميعاً :

وفى ذلك يقول الله عز وجل :

﴿ **من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً** ﴾ المائدة الآية « ٣٢ » .

وحتى قتل النفس خطأ له جزاؤه الرادع .. وذلك قوله تعالى :

﴿ **وماكان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة** ﴾ النساء الآية « ٩٢ »

والنتيجة هى :

احترام الإسلام للحياة الإنسانية .. والتأكيد على أن هناك وسائل أخرى غير الحرب يمكن أن ندعو بها إلى الله تعالي .

ويتضح ذلك المعنى بما يلى :

أ- معنى الجهاد :

يرسم الخصوم صورة العربى المسلم : جندياً يمتطى صهوة جواده وفى يده سيف .. وهذه اليد أطول من الأخرى !

ثم يلاحق الرجل الغربى فى محاولة للانقضاض عليه ؟

يفعلون هذا .. متجاهلين الواقع التاريخى . الذى يحبط مايمكرون ..إذ يقصرون معنى الجهاد على :

جبهة عسكرية .. وجيوش تتقاتل .. ثم أشلاء .. ودماء .. وضحايا

رد هذه الشبهة

وإذا كان « السلاح » واحداً من أدوات الإسلام فى مواجهة العدوان .. فإنه يمثل أسلوباً واحداً من مجموع أساليب الجهاد فى الإسلام وهى :

الجهاد بالقلب .. والجهاد بالمال .. والجهاد باللسان .

وإنما يتعين السلاح أحياناً .. إذا كان آخر الدواء .. وآخر الدواء :الكى

وذلك بعض مايشير إليه قوله تعالى :

﴿ **والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون** ﴾ الشورى الآية « ٣٩ »

وماذا على المظلوم .. إذا هب يدافع عن نفسه .. بنفس سلاح عدوه :

﴿ **ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل . إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم** ﴾

الشورى الآية « ٤١ - ٤٢ » .

وهؤلاء هم الذين ﴿ يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً ﴾

حاشية :

حرصت على أن أعنون البحث هكذا : الجهاد ..

ولم أقل « فى الإسلام » كما جاء فى خطاب التكليف .. لأن «الجهاد » بهذه المعانى أليق بالإسلام .. فلاجهاد إلا فى الإسلام .

أما ماعند غيرنا فهو : الحرب .. هو الدماء .. ومسافة الخلف واسعة بين الأشرار والأبرار .

معنى الجهاد فى القرآن

وقد ورد الجهاد فى القرآن على معان :

الأول : مجاهدة الكفار والمنافقين بالبرهان والحجة :

﴿ **جاهد الكفار والمنافقين** ﴾ التوبة « ٧٣ » .

﴿ **وجاهدهم به جهادا كبيرا** ﴾ الفرقان « ٥٢ » .

الثانى : جهاد أهل الضلالة . بالسيف والقتال :

﴿ **وفضل الله المجاهدين على القاعدين** ﴾ النساء الآية « ٩٥ » .

﴿ **هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله** ﴾ البقرة الآية « ٢١٨ » .

الثالث : مجاهدة النفس :

﴿ **ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه** ﴾ العنكبوت الآية « ٦ »

الرابع : مجاهدة الشيطان بالمخالفة طمعاً فى الهداية :

﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ﴾ العنكبوت الآية « ٦٩ »

الخامس : جهاد القلب لنيل الوصل والقرب :

﴿ **وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم** ﴾ الحج الآية « ٧٨ » .

ومن معانيه : الطاقة والوسع :

يقول تعالى : ﴿ **لايجدون إلا جهدهم** ﴾ التوبة الآية « ٧٩ »

﴿ **وأقسموا بالله جهدأيمانهم** ﴾ الأنعام « ١٠٩ » .

أى : حلفوا . واجتهدوا فى الحلف أن يأتوا به على أبلغ مافى وسعهم.

وقيل : الجهاد : الأرض المستوية بل (أشدها استواء) و (الصلبة)

واجهد لك الطريق : برز . وظهر . ووضح . و : المبالغة . واستفراغ الوسع فى الحرب واللسان .

والاجتهاد : أخذ النفس ببذل الطاقة . وتحمل المشقة فى العبادة . يقال : جهدت رأيى . واجتهدت : أتعبته بالفكر .

وقيل الجهاد : (استفراغ الوسع فى مدافعة العدو) أو (الدعاء إلى الدين الحق)

ويعنى ذلك : تراحب معنى الجهاد تراحباً يتجاوز حصره فى المواجهة العسكرية .. وهو مضموم على معان كثيرة .

ففيه من المعانى : السعة والوضوح والطاقة .. وهى إما جسدية .. أو عقلية .

* جسدية : بالسلاح .. فى مواجهة المعتدين علينا .

* فكرية : باللسان والقلم ضد من يحاولون تشويه ملتنا .

* وفيه كذلك معنى : القوة : ولاتعنى « القوة بالضرورة » التدمير .. والدماء والأشلاء .. فمن معانيها :

١- الطاعة .

٢- الاجتهاد وشدة الحرص .

٣- التمكن من الأفعال الشاقة .

٤- الطاقة .

٥- قوة الدين والحجة .

وفى الحديث : « جهاد الكبير - العاجز - والمرأة .. والضعيف .. الحج »

وإذا كان معنى « قتله » أى أزال روحه عن جسده .. فإن من معانيه وبنفس القوة : اللعن والطرد .[1]

قال تعالى : ﴿ **قتل الإنسان ماأكفره** ﴾ عبس ..

ومنها .. سلاح الذكر.

فى غزوة الأحزاب .. زلزل المؤمنون زلزالاً شديداً .. وكان الإيمان والتسليم وذكر الله تعالى هى الأسلحة التى استنزل بها المؤمنون النصر .

﴿ **ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ..** ﴾ الأحزاب الآية« ٢٥ » .

ب- مراتب الجهاد :

قال ابن القيم : « لما كان جهاد أعداء الله فى الخارج فرعاً عن جهاد العبد نفسه فى ذات الله .. كما قال النبى ﷺ :

« المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله »

كان جهاد النفس مقدماً على جهاد العدو فى الخارج . وأصلاله :

فإنه مالم يجاهد نفسه أولاً لتفعل ماأمرت به . وتترك مانهيت عنه . ويحاربها فى الله .. لم يمكنه جهاد عدوه فى الخارج .

فهذان العدوان .. وبينهما عدو ثالث لايمكنه جهادهما إلا بجهاده وهو واقف بينهما يثبط العبد عن جهادهما وفى هذا المعنى يقول الشاعر :

يا من يجاهد غازياً أعداء دين .·. الله يرجو أن يعان وينصرا .

هلا غشيت النفس غزواً ! إنها .·. أعدي عدوك كى تفوز وتظفرا

مهما عنيت جهادها وعنادها .·. فلقد تعاطيت الجهاد الأكبرا

(١) بصائر ذوى التمييز ج٤/٢٣٨ .

والأصل فى ذلك : قوله ﷺ :

(رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) [1]

وقد مضى الفكر الإسلامى يدور على هذا المحور :

قال ابن بطال :

(جهاد المرء نفسه هو الجهاد الأكمل)

قال الله تعالى ﴿ **وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى** ﴾ النازعات الآية « ٤٠ » .

ويقع بمنع النفس من المعاصى .. وبمنعها من الشبهات .. وبمنعها من الإكثار من الشهوات المباحة لتتوفر لها فى الآخرة .

وقيل فطمها عن المألوفات ومصداق ذلك فى القرآن الكريم :

يقول الله عز وجل :

﴿ **وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وماجعل عليكم فى الدين من حرج .. فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾ الحج الآية « ٧٨ » .

فإقام الصلاة .. وإيتاء الزكاة .. والتوكل على الله من أمضى أسلحة النصر على أعدائنا .

جـ- مجالات الجهاد :

ومما يدل علي تراحب معنى الجهاد : مجالاته المتعددة :

هذه المجالات التى حددها الفقهاء .. وليست مقصورة بالضرورة على المواجهة العسكرية ..

---

١) أخرجه البيهقى فى الزهد من حديث جابر وقال : هذا إسناد فيه ضعف .

ومن هذه المجالات :

المرابطة

تبليغ الدعوة

الغزو الفكرى بالقلم واللسان

جهاد العدو المهاجم

ويعنى ذلك كله : أن السلاح لم يكن هو الوسيلة الوحيدة لمواجهة الأعداء .. وإنما الحرب بالدرجة الأولى حرب نفسية .. نرهب بها الأعداء .. حتى يكف الخوف منا بأسهم عنا وهذا بعض مايعنيه قول « أبى مسلم » لرجاله ، قال :

(أشعروا قلوبكم الجرأة عليهم .. فإنها سبب الظفر .. واذكروا الضغائن .. فإنها تبعث على الإقدام .. والزموا الطاعة .. فإنها حصن المحارب)

السلام : هو القاعدة .

والحرب : الاستثناء

إن الحرب ضرورة لحماية المكاسب البشرية . وفى هذا نقرأ القرآن مايقرره الأصوليون :

أن المصالح التى عليها مدار التشريع ثلاثة :

الأولى : درء المفاسد .. المعروف عند الأصوليين بالضروريات .

الثانية : جلب المصالح « الحاجيات » .

الثالثة : الجرى على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات «التحسينات».

وإذا صارت هذه المصالح حقاً .. فإنه لابد للحق من قوة تحميه .. ومن أجل ذلك شرع الجهاد حماية لهذا الحق أن يهان .. ثم كان ضرورة تقدر بقدرها .

كما قال شوقي :

الحرب في حق لديك شريعة ∴ ومن السموم الناقعات دواء

رأي العلماء :

من أجل ذلك قال العز بن عبد السلام :

(إن الجهاد لايتقرب به إلى الله .. من جهة كونه إفساداً .. وإنما يتقرب به من جهة كونه وسيلة إلى درء المفاسد .. وجلب المصالح) [1]

ويقول مالك : (لاأرى أن يقاتل المشركون حتى يدعوا ولايبيتوا حتى يدعوا . وسواء غزوناهم نحن .. أو أقبلوهم إلينا غزاه .. فدخلوا بلادنا .. لانقاتلهم حتى ندعوهم) [2]

(من الذين قاتلهم الرسول)

يجيب د/ حسين مؤنس (كل مغازي الرسول ﷺ والحروب التي تمت خلال القرن الهجري الأول . لم يحارب المسلمون قوماً . أو أمة أو شعباً . إنما حاربوا القوة التي تحول دون وصول الإسلام إلي الناس) [3]

(طبيعة القتال في الإسلام)

ويعني ذلك أن حرب الإسلام دفاعية .. لاهجومية انتقامية :

يقول ابن تيمية في رسالته عن القتال : (كانت سيرته ﷺ : أن كل من هادنه من الكفار لايقاتله .)

والمتواتر في سيرته : أنه لم يبدأ أحداً من الكفار بقتال .

---

١) قواعد الأحكام ج١/١١٢ ٢ .) المدونة الكبرى / ٢ .
٣) الإسلام الفاتح /١٢ .

والنصارى هم الذين حاربوا الإسلام أولاً .

وقتلوا من أسلم منهم بغياً وظلماً [1]

ويقول الكاتب الهندى « شراغ على » (كل حروب الرسول ﷺ كانت دفاعية)

وعلى هذا الأساس كانت مذاهب الفقهاء :

وإذن فقد كان الجهاد فى الإسلام « ضرورة » والضرورة تقدر بقدرها .

فإذا تم المقصود .. وكانت أمتنا فى حفظ ومنعة بحيث لاتطولها يد الأعداء .. فلا جهاد عندئذ ..

يقول ابن رشد فى مقدماته على « مدونة الإمام مالك » .

(إذا حميت أطراف المسلمين .. وسدت ثغورهم .. سقط فرض الجهاد عن سائر المسلمين) [2]

ويقول الشربينى فى معنى المحتاج [3] (ويحصل فرض الكفاية بأن يشحن الإمام الثغور بمكافئين للكفار مع إحكام الحصون والخنادق) .

يقول الثورى :

القتال مع المشركين ليس بفرض . إلا أن تكون البداية منهم .. فحينئذ يجب قتالهم دفعاً ﴿ **فإن قاتلوكم فاقتلوهم** ﴾ .

(وقاتلوا المشركين كافة)

وهو مقيد (كما يقاتلونكم كافة)

فإن اجتمعوا لقتالنا .. قاتلناهم مجتمعين لايتخلف منا أحد .

وقال ابن عطية فى تفسير هذه الآية :

لم يعلم قط من شرع النبى ﷺ أنه ألزم الأمة جميعاً النفر . وإنما معنى الآية : الحض على قتالهم . والتحزب عليهم وجمع الكلمة ضدهم) .

---

١) محمد الغزالى مائة سؤال عن الإسلام ج١/١١١ .　　(٢) مقدمة / ٢٦٣ .

(٣) ج / ٤ / ١١٢ .

وأحياناً يداهمنا العدو .. وعلى غرة .. وعندئذ فالتردد فى مواجهته تفريط فى واجب ملح لايحتمل التأجيل :

فهناك مواقف فى الحياة :

لاتحتمل التردد .. والتعلق بحبال الوهم أو الأمل فى انفراجها على النحو الذى نتمناه لأنفسنا بطريقة سحرية . وفى اللحظة قبل الأخيرة .

وإنما ينبغى للمرء فيها أن يحسم أمره بشأنها .. ويتخذ مالامفر من اتخاذه من الإجراءات الملائمة .

مهما كانت مؤلمة . أو مخالفة لكل ماتتمناه لنفسك . ذلك أن التردد فى مثل هذه المواقف المحسومة قسراً عجز عن التبصر .. والتعلق بالوهم وحده فى حلها هزيمة تستنزف الوقت والطاقة .. ولا عائد له إلا التفريط فى الكرامة .

ضوابط القتال

تمهيد :

الدفاع عن النفس .. اتقاء للشر : حق مكفول فى الدساتير السماوية والوضعية .. والمسلم حين يرفع سلاحه فى وجه من يريد أن يقتله مشمول بهذه القاعدة .. وفوق هذا فإنه محكوم بضوابط الجهاد انضباطاً صادراً عن أهداف القتال فى الإسلام .

فهو يقاتل فى سبيل الله .. وخصمه غشوم غير محكوم بمثل عليا :

﴿ **والذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت** ﴾ النساء الآية « ٧٦ »

ولأنه يقاتل فى سبيل الله .. فإن ذلك مما يجعل جهاده لإعمار الأرض لا لخرابها .

يقول عز وجل :

﴿ **والذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر** ﴾ .

أهمية هذه الضوابط

إن للجهاد آثاره الحتمية المترتبة على المواجهة العسكرية :

من إزهاق الأرواح .

وإتلاف الزرع والضرع .

وضياع الأموال .

ومن أجل ذلك .. كان لابد من ضوابط شرعية حتى يحقق المقصود من الجهاد وهو :

إحقاق الحق .. وإبطال الباطل .

ذلك بأنه وسيلة فعالة من وسائل الدعوة .. ينحى الله به تلك العوائق التى تحول بينها وبين الوصول إلى الراغبين فيها .

وفى غياب هذه الضوابط .. تأتى النتائج عكسية .. منفرة .. مانعة من دخول الناس في دين الله .

إن المقاتل المسلم بقتاله لايصفى حسابات قديمة وإنما روحه من روح الإسلام .

والإسلام لم يحارب الكفر .. لأنه كفر .. بل لأنه ضم إلى عوجه الفكرى جملة من الآفات الأخلاقية والمسالك العدوانية .

ولقد كانت هذه الضوابط صارمة تحكم مسير المعارك الإسلامية :

قبل المعركة وأثناءها .

وبعد أن تضع الحرب أوزارها .

قبل القتال

قبل القتال

يقول د. وهبة الزحيلى :

(مايجب قبل القتال : أمر الجهاد موكول إلى الإمام واجتهاده ، ويلزم الرعية طاعته فيما يراه من ذلك ، وينبغى أن يبتدئ بترتيب قوم فى أطراف البلاد يكفون من بإزائهم من المشركين ، ويأمر بإعداد الحصون وحفر الخنادق ، وجميع المصالح ، ويؤمر فى كل ناحية أميراً يقلده أمر الحروب تدبير الجهاد [1] . فإذا ساءت العلاقة بين المسلمين وغيرهم من الكفار ووجدت دواعى القتال ، وقرر الحاكم المسلم خوض المعركة مع العدو ، وجب حينئذ إنذار العدو بإعلان الجهاد أو إبلاغ الدعوة الإسلامية) .

فإذا فرضت المعركة نفسها .. كان لابد قبل بدء القتال من الالتزام بهذه الضوابط ومنها :

١- القتال فى سبيل الله . وذلك قوله ﷺ :

(انطلقوا باسم الله . وبالله . وعلى ملة رسول الله)

٢- دعوة الخصوم إلى الإسلام .. قبل بدء المعركة .

٣- الاستعداد لبذل النفس فى سبيل الله تعالى .

٤- كتمان السر .

٥- الدعاء بالنصر على الأعداء .. ومن ذلك دعاؤه ﷺ (اللهم منزل الكتاب . ومجرى السحاب . وهازم الأحزاب . اهزمهم وانصرنا عليهم)

« أبو داود بسند صحيح »

---

١) راجع : البدائع /٩٨ ، تبيين الحقائق /٢٤١ ، وفتح القدير /٢٨٢ .

٦- إذا بدأ العدو بالقتال .. رفعنا أول شهيد منا بحيث يراه العدو .. فلعله إذا رأى دماءه تنزف .. كف عن القتال .

الأصل فى ذلك :

عن عبد الرحمن بن عائذ قال :

كان رسول الله ﷺ إذا بعث بعثاً قال :

(تألفوا الناس .. وتأنوا بهم .. ولاتغيروا عليهم حتى تدعوهم . فما على الأرض من أهل بيت : من مدر ولاوبر أن تأتونى بهم مسلمين أحب إلى من أن تأتونى بأبنائهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم)

وهكذا .. تتحدد معالم وظيفة المقاتل المسلم : فليست هى إطاحة الرءوس وإزهاق النفوس .

ولكنه مادام يقاتل فى سبيل الله - فواجبه أن يحبب إلى الناس رب الناس . بالتودد إليهم توددا يحببهم فى الإسلام .

وذلك أجدى من قتلهم وتدمير ممتلكاتهم ..

وعن عطاء بن يسار أن النبى ﷺ بعث علياً رضى الله عنه مبعثاً فقال له :

امض ولاتلتفت .. قال : بلى يارسول الله .. كيف أصنع بهم ؟

إلى أن قال : ثم تقول لهم : هل لكم أن تقولوا : لاإله إلا الله

فإن قالوا : نعم : فقل لهم : هل لكم أن تخرجوا من أموالكم الصدقة؟

فإن قالوا نعم .. فلاتبغ منهم غير ذلك .

والله : لأن يهدى بك الله رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت

وقد كان هذا مسلك الخلفاء الراشدين من بعده :

من وصية أبى بكر ليزيد بن أبى سفيان :

إنك ستلقي أقواماً زعموا أنهم قد فرغوا أنفسهم لله فى الصوامع فذروهم ومافرغوا له أنفسهم .

وعلى نفس الطريق سار عمر رضي الله عنه :

فقد كانت وصاته للجيش : (امضوا باسم الله . على عون الله . وبتأييد الله . وماالنصر إلا من عند الله . والزموا الحق . والصبر . ولاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين ولاتجبنوا عند اللقاء ولاتمثلوا عند القدرة . ولاتسرفوا عند الغلبة .. ولاتقتلوا شيخاً ولاامرأة ولاوليداً) .

ومن وصاياه إلى الجيش الذى أرسله إلى جبهة القتال مع الفرس .. بعد أن غدروا بقائد الجيش الذى أرسله أبو بكر قبل وفاته .

(إن تقوى الله أفضل العدة على العدو : فكونوا أشد احتراساً من المعاصى : فإن ذنوب الجيش أقوى عليهم من عدوهم . وإنما ينتصر المسلمون بمعصية عدوهم لله .. ولولا ذلك لم يكن لنا بهم قوة : لأن عدونا ليس كعدوهم ولاعدتنا كعدتهم :

فإن استوينا فى المعصية كانت الغلبة لهم . والهزيمة علينا)

مغزى أمر المقاتل بالتقوى

يعنى الأمر بالتقوى :

التجرد من الهوى .. ليكون الولاء كله .. والطاعة كلها للحق .. فإذا انتصر المجاهد هكذا فى معركته مع نفسه .. كان ذلك تمهيداً لخوض المعركة مع الأعداء محكوماً بضوابط الحق .. بريئاً من نزوة الهوى وآفة الغرور ومايترتب عليها من تجاوز للحد .. ثم يكون النصر مسك الختام .

أصل الأصول

والأصل الأصيل لكل ماسبق فى سورة الممتحنة :

يقول عز وجل :

﴿ **لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين .. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون** ﴾ الممتحنة الآية « ٨-٩ » .

وفى الآيتين الكريمتين دروس وعبر :

فلا تثريب علينا فى بر من يخالفونا فى الدين والعدل فى معاملتهم إذا لم تكن بيننا وبينهم ذكريات مرة : فلم يقاتلونا . ولم يخرجونا من ديارنا .

وبنفس القوة : فنحن منهيون أن نتخذ أولياء هؤلاء الذين :

أ- قاتلونا

ب- وأخرجونا من ديارنا

جـ- ثم ساعدوا غيرنا على إخراجنا من ديارنا

وفى كلتا الحالتين .. فنحن مطالبون بالالتزام بالضوابط الشرعية والأخلاقية فى حال المواجهة العسكرية .

ذلك بأن الحكمة من قتال المشركين هى :

كسر شوكتهم .. لتسير الدعوة فى أمان .. ومتى تم ذلك .. فلا داعى لمواصلة الهجوم .

وقد يتبادر إلى ذهن المتساهلين أن الآية تبيح لنا أن نتلقى العون من الذين لم يقاتلونا وذلك عكس ماهو واضح من الآية الكريمة التى تقول لنا :

لابأس أن تبروا من لم يقاتلوكم ولم يخرجوكم .. لابأس أن تكونوا فى الموقف الأفضل فتشفقوا عليهم .. أما منطق المتساهلين فإنه جنوح بالأمة عن موقف العطاء إلى موقف الاستجداء .

من صور البر :

وإذن .. فلابأس من التعامل التجارى والثقافى مالم يكن على حساب العقيدة .. إذا اعتدى ذمى على مسلم : عوقب

الزوجة الكتابية : لها حق حسن العشرة

احترام عقولهم : (ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن)

وتبقي أملاكهم .. وموارد رزقهم ودور عبادتهم : لايضارون فيها .. قد يشوش جاهل .. بالجزية .. والتى تناقض ماقررنا من صور البر .. ولكنا نقول :

أولاً : إن الجزية قدر من المال :رمزى .

ثانيـاً : ثم إنه فى مقابل مايقدم إليهم من خدمات ينعمون بها على قدم المساواة مع المسلمين المنتصرين .

ثالثاً : فى حال ماإذا عجز الذمى عن دفعها .. فإنه يعفى منها .

رابعاً : تتكفل الدولة الإسلامية بالانفاق على عيال الفقير منهم .

أثناء القتال

يجب على المجاهدين حال التحام القتال ، وفى أثناء المعركة الثبات أمام عدوهم إذا غلب على ظنهم أنهم يقاومونهم ، قال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً ، لعلكم تفلحون** ﴾

وعلى المسلم أن يثبت أمام اثنين من الكفار ، قال تعالى : ﴿ **الآن خفف الله عنكم ، وعلم أن فيكم ضعفا ، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله ، والله مع الصابرين** ﴾ .

فإن غلب على ظن المقاتلين المسلمين أنهم سيغلبون ويقتلون ، فلابأس أن يفروا من عدوهم منحازين إلى فئة يستنصرون بها من المسلمين ، ولاعبرة بالعدد ، حتى إن الواحد ، إذا لم يكن معه سلاح ، فلا بأس أن يفر من اثنين مسلحين ، أو من واحد مسلح ، أو بسبب عجزه لمرض ونحوه ، قال تعالى﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً ، فلا تولوهم الأدبار ، ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال ، أو متحيزاً إلى فئة ، فقد باء بغضب من الله ، ومأواه جهنم وبئس المصير** ﴾ .

ويؤيده ماروى ابن عمر قال : بعث رسول الله ﷺ سرية قبل نجد ، وأنا فيهم ، فحاص المسلمون حيصة (يعنى انهزموا من العدو) فلما قدمنا المدينة ، قلنا : نحن الفرارون ، فقال النبى ﷺ : بل أنتم المكرون [١] فى سبيل الله ، أنا لكم فئة ، لترجعوا معى إلى الجهاد فى سبيل الله [٢] ، فهذا إقرار من الرسول ﷺ لفعل هذه السرية التى لم تستطع متابعة القتال أمام قوة الأعداء ، وإن كانت حالة الحرب مازالت قائمة معهم .

---

١) المكرون : العطافون الراجعون إلى الجهاد مرة أخرى .
٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذى عن ابن عمر (جامع الأصول: ٣/٢٢٢ ، نيل الأوطار : ٧/٢٥٢)

ويحرم على المسلمين بيع أهل الحرب السلاح والكراع (الخيول) ونحوها من وسائل القتال التى تقوى العدو كالحديد ، ولايتاجر بها إلى الأعداء [1] .

١- يحرم قتل النساء والأطفال . (فليسوا مقاتلين)

٢- ولا الرهبان : فمعركتنا معهم فكرية : بالقلم واللسان وليست بالسنان .

٣- الحفاظ على اقتصاد البلاد والثروة الزراعية والحيوانية .. ومن وصية أبى بكر ليزيد :

ولاتعقرن شجراً بدا ثمره .. ولاتحرقن نخلاً .. ولاتقطعن كرما .. ولاتذبحن بقرة ولا شاة ولابعيراً .. إلا للأكل .

٤- لزوم الصمت .. فإن اللغط من أسباب الهزيمة

٥- من يقتل ومن لايقتل من الأعداء : يجوز قتل المقاتلين الذين يشتركون فى الحرب برأى أو تدبير أو قتال ، ولايجوز قتل غير المقاتلين من امرأة أو صبى أو مجنون أو شيخ هرم ، أو مريض مقعد ، أو أشل ، أو أعمى ، أو مقطوع اليد أو الرجل من خلاف أو مقطوع اليد اليمنى ، أو معتوه ، أو راهب فى صومعته ، أو إذا قاتلوا بقول أو فعل أو رأى أو إمداد بمال ، بدليل أن ربيعة بن رفيع السلمى أدرك دريد بن الصمة يوم حنين ، فقتله وهو شيخ كبير جاوز المائة ، لاينتفع إلا برأيه ، فبلغ ذلك رسول اللهﷺ ولم ينكر عليه [2] .

---

١) الكتاب مع اللباب : ١٢٣/٤ .

٢) روى ذلك فى الصحيحين عن أبى موسى (نيل الأوطار : ٢٤٨/٧) .

ويجوز قتل المرأة إذا كانت ملكة الأعداء ، لأن فى قتلها تفريقاً لجمعهم ، وكذلك إذا كان ملكهم صبياً صغيراً وأحضروه معهم فى المعركة ، لابأس بقتله إذا كان فى قتله تفريق جمعهم .

إن الحرب : ضرورة كما أشرنا آنفاً :

يقول الحق سبحانه :

﴿ **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير .. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله** . ﴾ الحج الآية« ٣٩- ٤٠ »

فالمؤمنون هنا مظلومون : أخرجوا من ديارهم بغير حق .

ومن حق المظلوم أن يدافع عن نفسه .. فهى إذن حرب ضرورة .. ودفاعية ولم تكن أبداً عدوانية استعمارية .. ولأنها ضرورة .. فإنها تقدر بقدرها .. وينبغى أن تضع أوزارها فى الوقت الذى تتحقق أهدافها :

﴿ **وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين** ﴾ البقرة الآية «١٩٣» .

٦- إنصاف الخصوم :

يقول عز وجل :

﴿ **الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ماعتدى عليكم** ﴾

قال الإمام محمد عبده فى تفسير هذه الآية الكريمة :

إن الله قد بين قاعدة عظيمة معقولة وهى :أن الحرمات أى مايجب أن يحترم ويحافظ عليه يجب أن يجرى فيها القصاص والمساواة . وقد استدل الإمام الشافعى بالآية على وجوب قتل القاتل بمثل ماقتل به :

بأن يذبح إذا ذبح . ويخنق إذا خنق ويغرق إذا أغرق .. بحيث يكون الجزاء على قدر الاعتداء بلا حيف ولاظلم .

ومن معانى ذلك أننا مطالبون بأن نقاتل أعداءنا بنفس السلاح الذى يحاربوننا به ولو كان كيماوياً ؟!

وتلك هى الحروب العادلة !

٧- عدم الغدر بمن أجاره مسلم . وأمنه على حياته لقوله ﷺ :

« ولاتغدروا » رواه مسلم .

٨- عدم إحراق العدو بالنار .. وعدم المثلة بالقتلى :

لقوله ﷺ : (إذا وجدتم فلاناً فاقتلوه ولاتحرقوه بالنار فإنه لايعذب بالنار إلا رب النار) رواه البخارى .

ولما روى : (كان ﷺ ينهانا عن المثلة)

٩- النهى عن التمثيل : ﴿ **وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا** ﴾ البقرة الآية « ١٩٠ » .

١٠- الوفاء بالعهد : ولقد كان ذلك الوفاء صارماً .. وفى أحرج الظروف .

من صور الوفاء بالعهد :

روى مسلم فى صحيحه عن حذيفة رضي الله عنه قال : (مامذعنى أن أشهد بدراً إلا أنى خرجت أنا وأبى حسيل قال : فأخذنا كفار قريش قالوا : إنكم تريدون محمداً ؛ فقلنا . مانريده ، مانريد إلا المدينة فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ولانقاتل معه . فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر . فقال : (انصرفا . نفى لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم) وفى لفظ (تفيا لهم بعهدهم) .

وهذا الحديث يبين أن الوفاء بالعهد منع حذيفة وأباه من شهود أو لقاء بين الإسلام والكفر .

روى أبو داود والنسائى وغيرهما أن أبا رافع رضى الله عنه قال : بعثتنى قريش إلى رسول الله ﷺ فلما رأيت رسول الله ﷺ ألقى فى قلبى الإسلام فقلت : (يارسول الله ، إنى والله لاأرجع إليهم أبداً) فقال رسول الله ﷺ (إنى لاأخنث بالعهد ولاأحبس الرد ، ولكن ارجع إليهم فإن كان فى نفسك الذى فى نفسك الآن فارجع) .

ومن ذلك مارواه البخارى وغيره من رد النبى ﷺ أبا جندل بن سهيل إلى المشركين وفاء بالعهد . وكذا عدم إعانته لأبى بصير وفاء بالعهد .

ومن ذلك مارواه أبو داود أن المغيرة بن شعبة كان قد غدر بأصحابه قبل إسلامه فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال له النبى ﷺ (أما الإسلام فقد قبلنا . وأما المال فإنه غدر ولاحاجة لنا به) .

وفى الحديث ، دلالة على حرمة الغدر واستباحة الأموال به ولو كان قبل الإسلام ، وقد علم أن الإسلام يجب ماقبله ، قال العظيم آبادى : (ويستفاد منه أنه لايحل أخذ أموال الكفار فى حال الأمن غدراً وإنما تحل بالمحاربة والمغالبة) .

فهذه النصوص وغيرها كثيرة تبين أن الغدر والجهاد ضدان لايجتمعان ، فلا جهاد بغدر وخيانة ولاخيانة وغدر مع جهاد . ومن تأمل كلام الأئمة والعلماء فى أبواب الجهاد علم شدة اعتنائهم بهذا الأمر اتباعاً لهدي النبىﷺ واضرب مثالاً لذلك هو ماقاله الإمام أحمد : (من أعطى أماناً - أى من الكفار المحاصرين - ليفتح حصناً ففتحه فاشتبه علينا حرم قتلهم).

وذلك لاحتمال أن يكون المقتول هو الذى آمناه على نفسه وعهدناه على ذلك ، ثم اختلف العلماء فى رقهم والمشهور عن أحمد أنهم لايسترقون أيضاً . كل ذلك صيانة للعهد وبعداً عن الغدر والخيانة [١] .

١١- إذا جنحوا للسلم جادين غير مخادعين جنحنا إليه :

و (لهم مالنا وعليهم ماعلينا) ولابأس أن يبقى المشرك علي دينه بل:

قال ﷺ (من آذى ذمياً فقد آذانى) على أن يدفعوا الجزية :

١- وهى أقل من الزكاة .

٢- وفى سبيل توفير الخدمات العامة .

هذا كله فى الوقت الذى كان الغدر شيمة الأعداء الذين لم يوفوا لنا بعده إلا فى حالين :

١- إذا كان المسلمون أقوياء قادرين علي ردعهم .

٢- إذا كان فى الوفاء مصلحة لهم .

وهكذا : مضى الإسلام .. فلم يدرك .. وسبق .. فلم يلحق .. وكل يوم جديد يحمل من الخير المفيد .

وينبغى إذا صار القتال ضرورة تفرض نفسها أن يكون المؤمن شديد المراس .. شجاعاً فى مواجهة الأعداء .

ذلك بأن الشدة مطلوبة فى موضعين .

---

(١) مجلة الفرقان / العدد / ٢٣١ / ذو الحجة ١٤٢٣ .

١- عند التعامل مع الكفار مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾

٢- عندما تنتهك حرمات الله تعالى . أو تتعدى حدوده .

والشدة منهى عنها فى موضعين أيضاً .

الأول : فى ممارسة العبادة .

الثانى : فى التعامل مع المسلمين .

قال ابن عباس رضي الله عنهما فى قوله تعالى :

﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾ الفتح« ٢٩ » .

قال : كان أهل الحديبية أشداء على الكفار أى : غلاظ عليهم . كالأسد على فريسته [١].

قال ابن كثير [٢] هذه صفة المؤمنين : أن يكون أحدهم شديداً عنيفاً على الكفار .. رحيماً براً بالأخيار .. عبوساً غضوباً فى وجه الكافر .. ضحوكاً بشوشاً فى وجه أخيه المؤمن .. وهو فى كل ذلك محكوم بضوابط القتال التى أشرنا إليها .. فهو غليظ .. على الغلاظ من الكافرين بخاصة كسراً لشوكتهم .

---

(١) تفسير القرطبى ج١٦/٢٩٢ .

(٢) ج٤/٢١٨ .

بعد القتال

١- لابد من الوفاء .. واحترام العهود والمواثيق .

من التطبيقات العملية :

رد « أبو عبيدة » الجزية إلى قوم عجز عن الدفاع عنهم .

ولما قرر أحد الولاة استبقاء الجزية على من دخل الإسلام .. بعدما فرغت الخزينة من المال .. نهره عمر بن عبد العزيز وقال له :

ويحك !!

ضع الجزية عمن أسلم .. فإن محمداً بعث هادياً .. ولم يبعث جابياً !!

للعاجز منهم رزق كاف فى بيت المال :

ومن دلائل ذلك :

بعد فتح الحيرة كتب خالد رضي الله عنه :

وجعلت لهم : أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر .. وصار أهل دينه يتصدقون عليه :

طرحت جزيته . وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله ماأقام بدار الإسلام فإن خرجوا إلى غير دار الإسلام .. فليس على المسلمين النفقة عليهم .

٢- مداواة جرحى الحرب وعدم قتل الأسارى أو تعذيبهم .

٣- اجارة من طلب الإجارة ولو كان وثنياً :

يقول الله عز وجل : ﴿ **وإن أحد من المشركين استجارك فأجره ..** ﴾

٤- عدم قتل رسول الدولة أو المفاوض عنها .. ولذلك لم يقتل ﷺ رسولى مسيلمة ابن النواحة وابن آثال .

وقال لهم : أتشهدان أنى رسول الله . قالا فى تحد واستفزاز : نشهد أن مسيلمة رسول الله . فقال ﷺ : آمنت بالله ورسوله .. لو كنت قاتلاً رسولاً لقتلتكما .

٥- عدم السرقة من الغنائم .

لقوله ﷺ : (لاتغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا .. إن الله يحب المحسنين) أبو داود .

يقول . د. وهبة الزحيلى :

(أما بعد انتهاء القتال وهو مابعد الأسر والأخذ : فكل من لايحل قتله فى حال القتال لايحل قتله بعد الفراغ من القتال ، وكل من يحل قتله فى حال القتال إذا قاتل يباح قتله بعد الأخذ والأسر إلا الصبى والمعتوه الذى لايعقل ، فإنه يباح قتلهما فى حال القتال إذا قاتلا ، ولايباح قتلهما بعد الفراغ من القتال إذا أسرا ، حتى وإن قتلا جماعة من المسلمين فى القتال ، لأن القتل بعد الأسر بطريق العقوبة : وهما ليسا من أهل العقوبة ، فأما القتل فى حال القتال فلدفع شر)

شاهد على أهله :

الدكتور « نبيل لوقا » واحد من أهل الكتاب المنصفين .. نذكر هنا شهادته التى نعتز بها .

قال : (إننا اعتمدنا على القرآن الكريم والسنة .. وماورد عن السلف الصالح من الخلفاء الراشدين .. لأنهم جميعاً هم المصدر الأساسي الذى يحدد الإطار الصحيح لانتشار الإسلام . وكيفية معاملة غير المسلمين.

أما مايفعله المستشرقون للهجوم على الإسلام .. من خلال إيراد أمثلة معينة في ظروف معينة .. لموقف بعض أولى الأمر من المسلمين فى بعض العهود التى سيطر فيها ضيق الأفق والجهل والتعصب .. فإن هذه الاجتهادات بشرية تحتمل الصواب والخطأ .. وإذا كانت هناك أفعال لبعض الولاة المسلمين .. أو بعض الجماعات الإرهابية تخالف أحكام الكتاب والسنة .. فهى تنسب إلى أصحابها .. ولايمكن أن تنسب إلى الإسلام .. لأن الإسلام فى القران والسنة لايقر هذه التصرفات .

إن بعض آراء المستشرقين فى الهجوم على الإسلام كان مبعثها التعصب الأعمى .

وإنى أسأل هؤلاء المستشرقين الذين شوهوا صورة الإسلام سؤالاً واحداً عن الحروب الدامية بين « الكاثوليك » « والبروتستانت » اثر قيام الراهب مارتن لوثر . بإنشاء مذهب البروتستانتينية .

لقد أصدر « ليو العاشر » البابا الكاثوليكى أمراً بأن تحرق علناً كل كتب ومؤلفات « مارتن لوثر » فى عام ١٥٢٠م وعذب معتنقوها عذاباً شديداً [١] .

(ألا إن الإسلام ليس طلقة فارغة : تحدث دوياً وتصيب هدفاً .. إنه نور فى الفكر .. وكمال فى النفس .. ونظافة فى الجسم .. وصلاح فى العمل .. ونظام يرفض الفوضى .. ونشاط يحارب الكسل .. وحياة دوارة فى كل مكان .

---

(١) انتشار الإسلام .د. نبيل لوقا / ٣١/٣٠ .

ولقد فهم المسلمون الأوائل الإسلام هذا الفهم فكانوا يزرعون فى طريقهم الأزهار والآمال .

وتلتحق بهم الشعوب الأخرى لتتعلم وتستفيد .

فقد كانت أمتنا عنواناً ضخما على حقيقة كبيرة ، حقيقة اجتماعية وسياسية . تعنى الحضارة الأجدى . والثقافة الأوسع) [1] .

ويقول الشيخ الغزالى أيضاً [2] :

هناك جملة من الآيات فى معاملة خصوم الإسلام .. وفى مقاتلتهم أحياناً .. لأسباب لايختلف المشرعون قديماً وحديثاً علي وجاهتها وعلى أنها لاتنافى الحرية الدينية فى أرقى المجتمعات .

ثم يقول : أعطيناهم حق الحياة .. بكفرهم .. وأبوا أن نعيش بإيماننا!

قلنا لهم : لكم دينكم ولنا ديننا فقالوا :

ليس لكم إلا الموت .

أولئك هم الذين برئت منهم ذمة الله ورسوله وأولئك الذين نزل فيهم :

﴿ **فإذا انسلخ الأشهر الحرام فاقتلوا المشركين حين وجدتموهم** ﴾ التوبة الآية « ٥ » .

من خصائص الجندى المسلم :

ولقد انطلق الجندى المسلم إلى ساحة الجهاد متسلحاً أولاً بهذه الخصائص الإنسانية .. والتى غزا بها الأرواح وفتح القلوب .. بهذه الخلائق التى كانت تحكم حركته ومنها :

(١) جهاد الدعوة للشيخ الغزالى .
(٢) جهاد الدعوة / ١٠٣ .

١- إنه يعرف الحق .. يتبعه وحين يذاد عنه .. يتمسك به .

٢- وأن دينه دين « طيار » ينطلق فى الآفاق بقوته الذاتية .. ولاإكراه فيه.

٣- ثم هو مقاتل شريف :

شريف :

يعاف العار حتى كأنه ... هو الكفر يوم الروع - أو دونه الكفر .

إنه يخاف العار .. لكن لايخاف الموت !

٤- ثم إنه فارس : لايواجه إلا العدوان . وفى الفروسية .

لايقتل طفلاً .. فى معركة ليس طرفاً فيها .. ولاامرأة .. إنه لايقتلها .. وإنما يحميها .

ولاشأن له بالراهب فى صومعته :

فهو لايقاتل إلا من يحمل السلاح .. أما الراهب فمعركتنا معه فكرية : الرأى يواجه الرأى .. والحجة تقرع الحجة .

إن الجندى المسلم مقاتل شريف .. يعلو فوق الأحقاد .. يحضه على المروؤة عاملان : أن دينه وفروسيته .

ومعنى ذلك أن بالإنسان جوعاً ونهما إلى أن يكون شيئاً مذكوراً .. وبخاصة على جبهة القتال التى تظهر فيها أقدار الرجال .

وقد يقاتل للمغنم .. أو للذكر .. أو ليرى مكانه .. ولكن الرسول ﷺ .. يرتفع بالمقاتل المسلم .. إلى الأفق الأعلى ليصبح نسراً يتجاوز الحضيض .. فمكانه هناك فوق الذرى .

وهكذا كان المقاتل المسلم يستمد شجاعته من رافدين :

رافد الطبيعة .. ورافد الشريعة .. أما طبيعته .. فقد كانت كما عبر عنها :..

بعـد هزيمة قـريش فى « بدر » حلف أبو سـفـيـان ألا يمس امـرأته . ولايمسه ماء حتى يأخذ بثأره من المسلمين .

ولما قتل « كليب بن ربيعة » أقسم أخوه « المهلهل » بن ربيعة ألا يتناول شيئاً من متع الحياة .. وألا يخلع ثوبه عن بدنه حتى يأخذ بثأره منشداً :

ولست بخالع درعى وسيفى .:. إلى أن يخلع الليل النهار

وهكذا كان طبعه النقى الأبى والذى عبر عنه بقوله :

تسيل على حد الظبات نفوسنا .:. وليس على غير الظبات تسيل

العسكرية الإسلامية
فى جانبها الإنسانى

في مجال التطبيق

التسامح : بين الأمل والعمل :

إذا كنت تسمع اليوم عن التسامح كلاماً يقطر عسلاً .. فإن الواقع حافل بما ينقض هذه الدعاوى !!

ولكنك في الإسلام واجد هذه القيمة : نظرياً وعملياً :

ففي هذه الأحاديث المشرفة .. والتي أوصت بالإحسان .. وبالذات إلى المخالفين في الدين .

ثم جاءت السيرة النبوية تطبيقاً عملياً .. لما وجهت إليه . وذلك إجمال يحتاج إلى تفصيل .

في السنة المطهرة :

تشهد نصوص السنة بإنسانية الإسلام التي أتم الله بها مابناه المرسلون من قبل (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) .

ومن شواهد السنة على إنسانية الإسلام وبالذات على ساحات المعارك - حيث يكون الامتحان عسيراً .

يقول ﷺ للمقاتلين : (اغزوا باسم الله وفي سبيل الله . وقاتلوا من كفر بالله . اغزوا .. ولاتغدروا ولاتغلو .. ولاتقتلو وليداً) .

إن باعث القتال في دين المسلم ليس هو كفر الأعداء . ولو كان كفرهم هو الباعث .. لقضى بقتل كل الأعداء .. وأباد خضراءهم .. لأنهم جميعاً كفار .

وإنما كان الباعث هو : درء المفاسد .. وجلب المصالح .

يروى أنس رضي الله عنه . قال لم يغز النبى ﷺ حتى يصبح .

فإذا سمع أذاناً .. أمسك وإذا لم يسمع أذاناً أغار بعدما يصبح [1]

لقد كان ﷺ رحمة العالمين .. كما شهدت بذلك سنته .. وسيرته ..
وقد عرفنا من سنته ﷺ ماأكد عموم هذه الرحمة وعمقها .

ويبقي أن نتأمل وقائع من سيرته الشريفة .. تبصرة وذكرى .. ونختار من مواقفه ﷺ بعضها :

وقد مر ﷺ على امرأة مقتولة فى بعض مغازيه . قد وقف عليها الناس فقال : ماكانت هذه لتقاتل !

وقال لأحدهم : إلحق خالداً فقل له : (لاتقتلوا ذرية ولاعسيفا)
«الأجير »

1) البخارى . كتاب الجهاد / ٢٦١٢ .

فى غزوة بدر الكبرى

نختار غزوة بدر بالذات .. لأنها أول لقاء مسلح بين المسلمين وبين من أذاقوهم الأمرين من المشركين .

وكان الظن أن يشفى المسلمون غليلهم بعد انتصارهم .. لكن ذلك لم يحدث .. فكان التسامح فى غيرها من باب أولى .

مدخل :

لقد قتل فى بدر عدد من صناديد قريش .. فى طليعتهم فرعون هذه الأمة : أبو جهل .

ثم وقع فى الأسر منهم أربعة وسبعون .. وقد امر ﷺ بنقل القتلى من مصارعهم التى كانوا بها إلى « قليب » ببدر .

وكان من سنته ﷺ فى مغازيه : إذا مر بجيفة أمر بها فدفنت .

وأهم من ذلك أنه ﷺ لم يكن يسأل عن صاحبها إن كان مؤمناً أم كان كافراً !!

وليعلم « المتحضرون » اليوم أنهم يدفنون رجالنا « أحياء » بينما نحن نكرمهم فندفن أمواتهم .. ولانتركهم للسباع نهباً !

إنزال الناس منازلهم

لما عاد المجاهدون المسلمون من بدر منتصرين لقيهم المسلمون مهنئين . فقال « سلمة » مهوناً من شأن رجال قريش :

ماالذى تهنئوننا به ؟

والله إن لقينا إلا عجائز صلعا : كالبدان المعلقة فنحرناها !!

فتبسم ﷺ ثم قال :

أي : ابن أخي

أولئك الملأ !!

أي : اشرافهم .. فخجل سلمة مما قال [1]

ثم فرض الله عليهم الذلة والمسكنة .. حين ذهبوا صاغرين إلى المدينة يحملون فداء أسراهم .. وماكان منه ﷺ إلا أن تلطف بهم :

أ- امتن على الفقراء بالتنازل عن الفداء .. فأسلم معظمهم .

ب- كلف المتعلمين منهم .. بتعليم المسلمين مقابل الفداء .

ج- رفض ﷺ التمثيل بهم .

د- وكان له موقفه الجليل فى التعامل مع الجهاز الإعلامي المنهار .

هـ- ثم للمرأة تكريم خاص .. إلا إذا كان لها فى المعركة دور .

وذلك إجمال يحتاج إلى تفصيل :

وصاة النبى ببعض القرشيين :

لما حرض النبى المؤمنين على القتال لم ينس وصيته بأناس خرجوا مكرهين إلى القتال ، وكانت لهم مواقف مشكورة في منع النبى وحمايته ، أو مساع حميدة فى رد الظلم والطغيان . فقال لأصحابه يومئذ (إنى قد عرفت رجالاً من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا مكرهين لاحاجة لهم بقتالنا فمن لقى منكم أحداً من بنى هاشم فلا يقتله ، ومن لقى أبا البخترى بن

---

(١) راجع البداية والنهاية لابن كثير ج٣/١٠٥ .

هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله ، ومن لقى العباس بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ فلايقتله فإنه خرج مستكرها)

ولاتحسبن أن الرسول بهذه الوصاة أراد أن يحابى أهله وذوى قرباه . فقد كانت نفسه الشريفة أسمى من ذلك وأرفع ، وإنما ذكر لبنى هاشم منعهم له ثلاثة عشر عاماً ، وانحيازهم لأجله فى الشعب ثلاثة أعوام حتى جهدوا وأكلوا ورق الشجر ، وذكر لعمه العباس موقفه المشرف فى بيعة العقبة الثانية وقوله للأنصار إن محمداً .. لايزال فى عزة ومنعة من قومه ، وذكر لأبى البخترى أنه كان له ضلع كبير فى نقض الصحيفة الظالمة .

وهى حسنات لاينساها الإسلام قط وقد كان من خلق رسول الله أن يرد الجميل بخير منه . وليس أدل على ذلك من أن أبا البخترى ليس من بنى هاشم ، ولاتربطه بالنبى قرابة قوية ، وإنما هو السمو الخلقى والإنسانى [1] .

(١) السيرة النبوية .

وصاته بالأسارى

وصل الرسول المدينة قبل قدوم الأسارى بيوم ، وكان قد فرقهم بين أصحابه وقال : (استوصوا بهم خيرا) وهذا غاية الرحمة والإنسانية حيث أوصى بأناس طالما عذبوه وأصحابه ، وحاولوا قتلهم وإبعادهم عن دينهم ، وقد نفذ الصحابة وصية رسول الله بأمانة ، فكانوا سمحاء كرماء معهم .

الحرب الإعلامية (١)

إذا كانت معارك الكافرين تنجلى عن الأشلاء والجماجم ، والضحايا .. فإن معارك الإسلام كانت تنكشف عن دروس تصلح بها النفوس .

ومن أهم المجالات التى بدت فيها إنسانية الإسلام وحكمته معاً : المجال الإعلامى من الرجال والنساء .

لقد كان للجبهة المشركة جهاز إعلامى فعال . مايزال يبث سمومه لتحقيق مآربه . ومن أركان هذا الإعلام المعادى :

١- سهيل بن عمرو .

٢- النضر بن الحارث .

٣- أبو عزه الجمحى .

٤- عصماء بنت مروان .

---

١) راجع السيرة .

في معمعان المعارك يعمد كل طرف إلى تدمير بيت خصمه .. يركز على وسائل الاتصال ووسائل الإعلام إرادة تدميرها .

أما فى الإسلام .. فإن الأمر مختلف جداً :

كان سهيل بن عمر جهازاً إعلامياً بما كان ينشد من أشعار . ومايبث من أفكار . فلما أخذ أسيراً كان المتوقع أن ينكل به تنكيلاً جزاء ماقدمته يداه : لكن الأمر جاء على غير مايشتهى المنجمون !

الرحمة فى ضمير الأمة

لما علمت أم المؤمنين « سودة بنت زمعة » بقدوم الأسارى رجعت إلى بيتها ورسول الله فيه .

فإذا سهيل بن عمرو مجموعة يداه إلى عنقه بحبل .. فما ملكت نفسها حين رأته كذلك أن قالت :

أي : أبا يزيد .. ألا متم كراماً ؟!!

قالت فوالله مانبهنى إلا قول رسول الله من البيت :

ياسودة .. أعلى الله وعلى رسوله تحرضين ؟!!

رأيت أبا زيد مجموعة يداه إلى عنقه أن قلت ماقلت فاعتذرت .

فقبل ﷺ اعتذارها .

لقد نشأت عن سهيل وبسببه مشكلة أسرية : فأم المؤمنين سودة بحكم فطرتها الخيرة .. ينتابها الفزع لمشهد عزيز قوم ذل .

ومع بعد المسافة بين المؤمن والكافر .. إلا أن ذلك لايفرغ القلب من

مشاعر الإشفاق .. وإذا كان الزوج المسلم يحب زوجته التائبة مع الفارق الهائل فى العقيدة . فإن أم المؤمنين « سودة » رضى الله عنها تحمل روح الإسلام المسامح هذه .. فلا يمحو اختلاف العقيدة مشاعر الإشفاق على رجل عزيز فى قومه يذل الآن .. دون أن يكون ذلك وهنا فى العقيدة أو مساومة عليها .

إن فطرتها العربية الأبية غلبتها .. فعبرت عن إنسانيتها بهذا المنطق الذى اعتبره ﷺ قد تجاوز حدود المعقول .. وأوشك أن يكون تحريضاً على المسلمين .

فلما اعتذرت سرعان ماقبل اعتذارها :

أولاً : إيماناً منه ﷺ بحسن نيتها .

وثانياً : استجابة لفطرته المائلة إلى الرحمة حتى بعدوه .. الذى مازال صوته يدوى بالتحايل عليه وعلى الإسلام .

موقف عمر

قال عمر رضي الله عنه : يارسول الله .. انزع ثنيتى سهل فيدلع (يخرج) لسانه فلا يقوم عليك خطيباً فى موطن أبداً .

فقال ﷺ : لاأمثل .. فيمثل الله بى .. وإن كنت نبياً . وعسى أن يقوم مقاماً ماتذمه فيه ثم حقق الله تعالى نبوءة رسول الله ﷺ فى سهيل .

فإنه لما مات رسول الله ﷺ وأراد أهل مكة أن يرتدوا قال سهيل خطيباً .. فقال بعد أن حمد لله وأثنى عليه وصلى على رسوله .

أيها الناس :

من كان يعبد الله فإن الله حى لايموت .. ثم مضى يدعو إلى الله على بصيرة

النضر بن الحارث :

وكان هجاء .. يروى الأساطير زاعماً أنها خير مما جاء به محمد ﷺ . قتلة المقداد بن عمرو بأمره ﷺ .

أبو عزة الجمحى

كان شاعراً شديد الإيذاء للرسول ﷺ ولما وقع فى الأسر .. رجا الرسولﷺ أن يعفو عنه فعفا عنه .

عصماء بنت مروان

كانت عصماء بنت مروان تؤذى الرسول وتحرض عليه وتعيب الإسلام فنذر « عمير بن عدى » ليقتلنها .

وفعلاً قتلها

ونظراً إليه الرسول ﷺ وقال : أقتلت ابنة مروان .

قال : نعم يارسول الله

فقال نصرت الله ورسوله ياعمير ؟

إن الرسول هنا لم يأمر « عميرا » بقتلها :

لكنه لم يعترض عليه .. لقد خرجت المرأة من قاعدة « الرحمة »

من حيث كان لسانها سلاحاً فى يد الأعداء .. فكان لابد من هذا الجزاء .

منع قتل من خرج للقتال مكرها

روى ابن إسحق عن ابن عباس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال لأصحابه « إنى عرفت أن رجالاً من بنى هاشم .. غيرهم قد خرجوا كرهاً لاحاجة لهم بقتالنا فمن لقي أحداً من بنى هاشم فلا يقتله » .

ثم سمى رجالاً منهم العباس بن عبد المطلب .. وانفعل أبو حذيفة بن عتبة قائلاً أتقتل آباءنا وأبناءنا . وإخواننا وعشيرتنا ونترك العباس والله لئن لقيته لألجمنه بالسيف .

ولم يملك القائد الأعلى لأبي حذيفة إلا أن يوسط عمر رضي الله عنه فى تهدئة مشاعر أبى حذيفة بهذا المنطق الودود .

ياأبا حفص : أتضرب وجه عم رسول الله بالسيف ؟!!

ولم تكن تلك الشفاعة من الرسول تعصباً قبلياً .. وإنما هو التقدير لرجل كان له دور سرى لمصلحة الدعوة وأراد ﷺ أن يرد له الجميل .

ومما يؤكد ذلك موقفه من أنه :

لما قتل النضر بن الحرث رثته أخته .. قتيلة بنت الحارث .. وكان مما أنشدته :

أمحمد ياخير ضئن [1] كريمة ∴ من قومها والفحل فحل معرق ؟

ماكان ضرك لو مننت وربما ∴ من الفتى وهو المغيظ المحنق

والنضر أقرب من أسرت قرابة ... وأحقهم إن كان عتق يعتق

قال ابن هشام :

يقال : إن رسول الله ﷺ لما بلغه هذا الشعر قال :

(لو بلغنى هذا قبل قتله .. لمننت عليه) [2]

لقد حركت المرأة فى قلبه الكبير الشجن .. إلى الحد الذى لو ا ستقبل

---

١) الضئن : الولد .

٢) البداية والنهاية ج٣/ ٣٠ .

فيه ماastدبر . ماوسعه إلا العفو عنه .. مؤكداً بذلك رحابه صدره وأن بعد الشقة بين المؤمن والكافر لاتلغى مشاعر الرحمة .. ولايقطع خط الرجعة أمام كل راغب فى أن يفئ إلى ظل الإسلام .

رعاية شعور المهزوم

وفى غزوة خيبر كانت « صفية بنت حيى » زعيم اليهود من بين السبايا .. وكان من الممكن أن يصفى المنتصر حسابه اليوم مع من لاقى منه صنوف الأذى .

لكن المنتصر وهو رسول الله ﷺ يراعى مشاعر العدو وهو فى أضعف حالاته .. حتى ولو كان من نسل زعيم اليهود .

ومن موقفه مع صفية يتضح هذا المعنى :

مـر بلال بصفيـة بنت حيى هى واينه عم لهـا على جثث قـومـهـا من اليهود فى خيبر وكانت من سباياها فانهارت ابنة عمها .. وثبتت هى .

وعاتب ﷺ بلالاً قائلاً :

أنزعت منك الرحمة يابلال .. حتى تمر بامرأتين على قتلى رجالهما ؟!

وبعد أن كانت الأسيرة الكسيرة انضمت إلى كوكبة أمهات المؤمنين .. لقد كـان ﷺ - بعد غزوة بدر يأمر بدفن الجثث .. ثم لايسأل عنها : أجثة مؤمن أم كافر ؟ كما أشرنا آنفاً .

وكان كذلك فى تقديره لمشاعر المرأة : فكما أنه - وبعد أحد - يمنع عمته صفية من رؤية جثة أخيها حمزة .. فهو هنا وبنفس القوة يصون مشاعر ابنة زعيم اليهود عن رؤية جثث قومها !

من إنسانيات صلاح الدين :

تمهيد :

يقول الإمام محمد عبده (إذا أريد أن يحتج بقول أو عمل لاتباع دين في بيان أصوله .. فليؤخذ في ذلك : بقول أو عمل أقرب الناس إلى منشأ الدين ومن تلقوه على سذاجته التي ورد بها من صاحب الدين نفسه) [1]

ومن إنسانيات صلاح الدين :

بعد انتهائه من تحقيق النصر في المعركة .. علم بمرض القائد الصليبي « ريتشارد المعروف بقلب الأسد » .

وكيف تعامل القائد المنتصر .. مع الأسد الجريح .. الكسيح ؟!

لقد أرسل إليه رسولا .. يستفسر عن صحته . فلما علم أنه محموم وأنه في حاجة إلي الماء البارد والفاكهة .. أرسل إليه فأمده .. بالكمثري .. والتفاح والماء البارد .

ويذكرنا هذا الموقف الإنساني .. بما فعله فاتح الأندلس « عبد الرحمن الثالث » فماذا فعل مع خصمه العنيد ؟

لقد كان غريمه « أمير ليون » من أشد الناس عليه .

وذات يوم .. جاءه رسوله وفي فترة الهدنة . يرجوه أن يسمح للأمير بزيارة قرطبة . ليستشير أطباءها في مرض الصدر الذي ألم به .

فرحب عبد الرحمن برسول عدوه في بشر .. حين خف لاستقبال الوفد .. ثم غمر الوفد بالهدايا .

---

١) الإسلام والنصرانية .

وأثناء ذلك .. كان مستشارو « عبد الرحمن » الثالث يراقبون مايحدث غاضبين عاتبين على قائدهم نبلاً لايستأهله الوفد القادم ؟!

ثم قالوا :

إنه يستشفى لدينا اليوم فى قرطبة .. ليشن علينا الحرب إذا عوفى وصح !!

وصاح فيهم عبد الرحمن :

دعوه يصح .. فإنا لاننازل إلا الأصحاء !!

وتذكرنا هذه الأريحية بما فعله الإمام على رضى الله عنه فى موقف من مواقف « صفين » .

فقد احتل الخصوم منابع الماء .. ولكن الإمام استبسل .. واستعاد موارد الماء .. وهب مستشاروه وقالوا له :

امنعهم الماء كما منعونا .. ولكن الإمام يرفض هذا الاقتراح قائلاً لأهل الشام : تقدموا .. فإن الماء للجميع .

وما كان لهذا الجميل أن يذهب سدى .

لقد انتزع اعتراف الخصوم بنبل المسلمين انتزاعا حتى قالت زوجة ملك فرنسا يوماً :

إن صلاح الدين بطل .. ولم تكن تعنى بطولته العسكرية .. بقدر ماكانت تقصد بطولته الإنسانية وبعد انتصار المسلمين فى « حطين » .

(أمر السلطان - صلاح الدين - بضرب مخيم عظيم)

وجلس فيه على سرير ا لمملكة وعن يمينه أسرة .. وعن يساره مثلها .. ثم جاء بملوكهم .. فأجلسوا عن يمينه ويساره على مراتبهم .

فأجلس ملكهم الكبير عن يمينه . وبقيتهم عن شماله .. ثم جئ إلي السلطان بشراب مثلوج . فشرب . ثم ناول الملك فشربس [1] .

القائد .. الولد

ومعروف أن دقيقة واحدة .. قد تقلب ميزان المعركة رأساً على عقب .. ومع ذلك أوقف صلاح الدين الحرب حتى يعثر على ولد لامرأة مسيحية .. والتى عادت به قريرة العين !

مع ملاحظة أنه أوقف الحرب فى الوقت الذى كانت الريح معه .. إيثارا للمبادئ على المنافع .

وأريحييه تلك هى التى حملته على أن يرسل إلي خصمه سلة من التفاح .. لما اشتاق إليه .

ولما مات هذا الخصم .. وحمل شعبه نعشه .. أشار عليه بعض أركان حربه أن ينتهز الفرصة .. ليضرب والظروف مواتية .

ولكنه رفض الفكرة رفضا نابعاً من قوة المؤمن .. التى تمنعه من ضرب العدو فى لحظة من لحظات ضعفه .

وما كان للأريحية الإسلامية أن تفجع أتباعه بالسهام .. فتضيف إلى أحزانهم أحزاناً .

---

(١) البداية والنهاية ح١٢/٤٣٢ - ٤٣٣ط - دار الكتب العلمية - بيروت .

إنه الفتى الأبى الذى يرفض أن يضرب عدوه وهو منحن يلتقط سلاحه .. ولكنه يصبر عليه حتي يستوى قائماً !!

وبعد فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين :

(قبض من الإفرنج ماكانوا بذلوه عن أنفسهم من الأموال . وأطلق السلطان خلقاً . منهم : بنات الملوك بمن معهن من النساد والصبيان والرجال.. ووقعت المسامحة فى كثير منهم . وشفع فى أناس كثير . فعفا عنهم وفرق السلطان جميع ماقبض منهم من الذهب فى العسكر . ولم يأخذ منه شيئاً مما يقتنى ويدخر) (1)

ومن الغريب : أن الكتاب الغربيين يعرفون هذه الحقائق ..

ثم يروون مافعله الصليبيون عندما دخلوا بيت المقدس من فظائع تقشعر منها الجلود .. كان من صورها أن تجاوزت جثث المسلمين الأبرياء أبنية المنازل العالية !

ومع ذلك يتبجح هؤلاء الكتاب فيقولون :

إن الإسلام انتشر بالسيف !! .. وهكذا كان للمستشرقين طنين : وإذا لم تستح فقل ماشئت .. واصنع ماشئت !

إن الإسلام لم ينتصر بالسف .. ولكنه انتصر على السيف ! كما يقول الشيخ الغزالى .. انتصر على السيف الذى سله الأعداء إرادة استئصاله .. فلما هزم المعتدون .. إذا هم يبكون أو يتباكون على السلام المزعوم .. ويرد

١) البداية والنهاية ج١٢/٣٢٤ . .

عليهم الشاعر المسلم :

قالوا : **غزوت ورسل الله مابعثوا** .·. **بقتل نفس ولاجاءو بسفك دم**

جهل وتضليل وأحلام وسفسطة .·. **غزوت بالسيف بعد الغزو بالقلم**

والجهل إن تلقه بالحلم ضقت به .·. **ذرعا .. وإن تلقه بالجهل ينحسم**

لقد كان على هؤلاء الكتاب أن ينصفوا المسلمين من أنفسهم .. حين يذكرون مايلى :

أ- كان المسلمون يواجهون الوثنية عدونا المشترك .. ومن ثم .. كان عليهم توجيه طاقة الاتهام إلى هذا العدو المشترك .. إلى إخوانهم من رفاق السلاح .

ب- وكان عليهم أن يفقهوا التاريخ القديم والحديث .. ثم يوازنوا .. موازنة كاشفة عن الإسلام المسماح .. والذي لم ينتشر أبداً بقوة السلاح .

وإذا كانت الأشياء تتمايز بأضدادها .. فاسمعوا ماشهد به المنصفون من كتاب الغرب :

يقول « هنرى دى كاسترى » :

(إن المسيحيين أيام الحروب الصليبية . مادخلوا بلاداً إلا وأعملوا السيف فى اليهود والمسلمين) [1]

(وعندما هزم المسلمون فى بيت المقدس أو فى أسبانيا قتلوا تقتيلا . وأبيت منهم الآلاف . وأحرق بعضهم حرقا) [2]

---

١) شبابنا وقضاياهم عبد المنعم النمر ص١١٨ .

٢) شريعة القتال فى الإسلام/ ١٥٣ عثمان شرقاوى .

ومايزال مسلسل الدماء مستمراً : فمن إحصائية عصبة الأمم : أن خسائر الأنفس في الحرب العالمية الأولى كانت بالملايين بين قتيل وجريح ومشوه . وقدرت مجلة « أتلانتيك » الأمريكية الصادرة فى سبتمبر ١٩٤٥م : أن ضحايا الحرب العالمية الثانية بلغت ستين مليونا :

نهاية المطاف

كان من أقوال طاغية « التتار » « جنكيز خان » إننى لاأفتح البلاد . ولكن أتسلمها .. ويعنى أنه يخرب القلوب أولاً .. حتى إذا لم يبق إلا الحطام الهش .. جاءه مستسلما .

ولكن الفتح الإسلامى كان شيئاً غير ذلك تماماً :

لقد كان القائد الإسلامى .. يحيى القلوب .. ولايحطمها .. يبعثها من رقادها .. لترى الحق .. وتعتنقه .. فإذا هى وبهذه الصحوة آتية مسلمة .. لامستسلمة .مسلمة وجهها إلى الله تعالى بقلوب ذاقت طعم الحق . فوضعت وجودها كله .. لهذا الحق .. بل إن وجودها لثمن زهيد فى سبيله .

إنك بالخوف قد تجبر خصمك على احترامك .. لكنك لن تظفر بحبه .. وسوف يبدو حقده الكامن .. بعد رحيلك .. ولكنك بالحب تبقى فى ضميره ولاتسقط من ذاكرته .

من أفق العدل
إلى أفق الإحسان

أما بعد :

فإن الله عز وجل يأمر بالعدل .. ولكن أحياناً يكون العدل صارماً جازماً .

وإذن فنحن أحوج مانكون إلى الارتقاء إلى أفق الإحسان نداوى به جراحاً .. ونشفي به أحقاداً .

وساحات المعارك الملتهبة بالصراع .. فى حاجة إلى هذا العفو .. نرطب به جفاف الحياة .. وإذ يتخذها الملحدون فرصة للتشفى .. فإن الإسلام يجعل منها .. رحمة مهداة ونعمة مهداه .

من أجل ذلك . بقيت أمتنا .. وستبقى صالحة مصلحة .. لأن البقاء للأصلح ودائماً .

إن الفضائل العامة ومنها التسامح والأخوة .. ليست وقفاً على فريق دون فريق .. ولك أمة حظها منها .. وإسهاماتها فى التمكين لها .

وقد جريت الإنسانية وحدة الكفاح من أجل هذه الفضائل فى سيرة أنبيائها : وفيما حكاه القرآن الكريم دليل ذلك :

قال إبراهيم عليه السلام :

(ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون)

ومن بعده : موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام .

وواجب أمهم اليوم هو :

أن يهبوا جميعاً .. لحماية هذه القيم .. فى وقت تبدو حاجتنا إليها أشد ماتكون . ألا وإن البطولة هى : أن تمنع الحرب لا أن تشعلها .

إن لك هدفاً واضحاً .. فيجب أن تتخذ إليه أسلوباً على سمته واضحاً نبيلا .. وإذن فلا تلجأ إلي أسلوب يناقضه وإلا كان الدين هو الثمن المدفوع.

وماأفدح الخسارة عندئذ !!

فتعالوا إلى كلمة سواء : وتزكى معارفنا .. باليقين .

لقد جربت الإنسانية الوحدة يوماً .. (كان الناس أمة واحدة) ولما تدخلت الأطماع كان الأمر كما قال عز وجل .

﴿ وماكان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ﴾

أجل لقد جربت الإنسانية الوحدة يوماً .. فسعدت بها .. وهى مطالبة اليوم أن تعود إليها .. أن تعود إلى البيت المهجور .

الفصل الثانى

من أنواع الجهاد

الجهاد باللسان

تمهيد :

لأن الإنسان ولد حراً .. فإنه يكره القيد .

وحين يواجه بدين أو بمذهب جديد .. فإنه يتساءل :

* لماذا أقيد .. والشأن أن أكون حراً ؟

* ومن هو صاحب الحق فى تقييدى ؟

* هل هو عادل .. أم ظالم ؟

* وهل تتجاوب توجيهاته مع فطرتى .. أم تتجاهلها ؟

فإذا رأى فى الدين الجديد أجوبة شافية كافية .. لم يعد يكره القيد !

بل إنه ليكره ذلك الذى يريد نزع القيد من يده .. وفاء لدين ملك عليه أقطار نفسه .

وللوصول بالإنسان إلى هذا المستوى لابد من توفر مايأتى :

أ- وجود شعور بالحاجة إلى القيد .

ب- الاعتقاد بأن السلطة المقيدة شرعية .

جـ- وبأن أحكامها قابلة للتطبيق .. فى مجال الواقع .. معبرة عن آمال الإنسان وآلامه .

وكذلك كان الإسلام .. الذى قدم الأجوبة الشافية الكافية .. وخاطب أقطار الإنسان كلها .. فدخل فيه من دخل .. وزهد فيه من زهد .

ومع ذلك لم تكن درجة الاستجابة واحدة أيضاً .. ففى النفوس أرض

خصبة تنبت من كل زوج بهيج.. وفيها كذلك قيعان لاتمسك ماء ولاتنبت كلأ .. ومع أن الإسلام درجات .. فإن التمرد درجات .. !!

ومن هنا كان لابد من دعاة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر تذكيراً وتبصيراً .. ومتابعة للركب الحائر قبل أن يذهب في الأرض حيران سلاحهم : اللسان .. وليس السنان .

ولقد تصور ناسٌ أن الجهاد في الإسلام مقصور على الجهاد بالسنان .

ثم نسوا .. بل تناسوا أن الجهاد كما يكون بالسنان .. يكون أيضاً باللسان .. بالكلمة الهادية البانية .. والتي تنوب عن السلاح في معركة الإصلاح .

وهذا هو الدور الأعظم الذي جاء القرآن الكريم ليحققه في دنيا الناس.

فهم قاصر

وقد فهم المشركون أن القرآن غير كاف في إثبات نبوة محمد ﷺ .. (وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه) ثم جاءهم الرد الحاسم القاصم :

﴿ **قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين . أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون** ﴾ العنكبوت « ٥٠-٥١ »

إن القوم هنا يصدرون فيما يقترحون عن فطرة عنيفة لاترى إلا القوة سبيلا إلي تحقيق الأهداف .. ناسين أو متناسين ماللكلمة في المنهج الإسلامي من تأثير .. قد يفوق قوة السلاح .

يقول أفلاطون : « تكمن قيمة البشر فى قابليتهم للإقناع .. وذلك بإظهارهم على مختلف الوسائل البديلة للحرب »

ومن هذه البدائل : الكلمة والتى قد تكون أقوى من السلاح وهذا ماأكده ابن حزم فى قوله :

« قد تهزم العساكر الكبار .. والحجة الصحيحة لاتُغلب أبدا : فهى أدعى إلى الحق . وأنصر للدين من السلاح الشاكى . والأعداء الجمة . لأن السيف : مرة لنا .. ومرة علينا .. وليس كذلك البرهان .. بل هو لنا أبدا :

ورب قوة باليد قد دمغت بالباطل حقا كثيراً فأزهقته .. وقد قُتل أنبياء كثير .. وماغُلبت حجتهم قط »

إن الكلمات تنقل الأفكار .. فتتلاقح الأمم .. ثم تكون النهضة .. وإن الإنسان ليظل جزيرة منعزلة مادام صامتاً .. فإذا نطق عرفناه !

جسور التفاهم

وإذا كانت هناك فى عالم المادة طرق اتصالات بين الناس تمثل الجسور التى بها يترابطون .. فإنه وفى عالم المعانى تظل الكلمات هى الجسور التى تحمل الأفكار والمعانى بين بنى البشر .. ولولاها .. لبقى الإنسان جزيرة معزولة وسط محيط هائل صامت لايفيد .. ولايستفيد .

إن البيئة التى نعيش فيها .. حافلة بمختلف التجارب .. وإذا لم نتكلم .. فكيف تنتقل إلينا ؟!

إن الإنسان يسمع الكلمة أولاً .. ثم يسمعها غيره ثانياً .. وبهذا تتواصل الأجيال .

ومن سحر الكلمة العربية أن حروفها أقل من ثلاثين حرفاً .. ومع ذلك فنحن بهذه الحروف نستطيع إنشاء ملايين الكلمات .. والتراكيب وعبر هذه التراكيب .. وتلك الكلمات تعبر كل العلوم والآداب.

وكل مشاعر البشر .. وكل الأسماء .. والأفعال .. والصفات .. وإذن فعلى محور الكلمة يدور حاضر الأمة .. وبها نقتحم المستقبل المجهول إنها وفى عصر العولمة تصير سلاحاً بتارا يتحداها .

وصحيح : أنها حروف .. صامتة وجامدة ولكنها أمضى من كل سلاح .

يقول عز وجل فى سورة الرعد : ﴿ **ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعاً** ﴾

يقول المفسرون : [لو أن قرآناً كانت به الآيات المحسوسات بأن سيرت أى : بأدنى إشارة من مشيرٍ ما .

« به الجبال » .. أى : فأذهبت على ثقلها وصلابتها عن وجه الأرض .. أو قطعت به الأرض .. على كثافتها .. فشققت فتفجرت منها الأنهار .. أو كلم به الموتى.. فسمعت وأجابت .. لكان هذا القرآن]

وفى أهمية الكلمة قال السموءل :

لسان الفتى نصف .. ونصف فؤاده ∴ فلم يبق إلا الصورة : اللحم والدم

والمرء بأصغريه قلبه ولسانه .

وتأمل قوله تعالى :

﴿ **قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون** ﴾ الأنبياء الآية« ٦٣ »

﴿ **وعلم آدم الأسماء كلها** ﴾ البقرة الآية « ٣١ »

وإذا كـان هناك فى الحيـوان مـاينطق بكلمـات كـالإنسـان .. ولكن الإنسان قد اختصه الله تعالى بمزية الفكر والروية .

إن « مافيك » يظهر على « فيك » وإذا كان فى اللسان الهلاك .. فنحن مأمورون أن نقيده بالشريعة .. فراراً من العثار .. ومن الجهل :

اشرب نقيع السم من عاقل

واسكب على الأرض دواء الجهول

وإذا كنا مـأمـورين بإعـداد القـوة المستطاعـة فـإننا نصنع السـلاح .. لانحصد به الرقاب .. وإنما لنمنع به الحرب .. وذلك بعض مايفهم من قوله تعالى :

﴿ **وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم** ﴾

وعلى الذين يتباكون اليوم على السلام الجريح .. عليهم أن يعلموا أنه يموت اليوم.. وفى عصور الحضارة .. يموت فى معركة واحدة مايفوق تعدد من ماتوا فى كل غزوات الإسلام !!

وإذا كانت دعوة الإسلام أحرص على دماء المسلمين .. فإنها حريصة على دماء كل البشر .. مهما كانت أديانهم ومذاهبهم .

وظيفة الرسول

وقد حدد ﷺ وظيفته المتمثلة فى مجرد الإنذار .. والإنذار الواضح .. وقد جاءهم بما يثبت ذلك .. وهو القرآن الشافى الكافى .. والذى هو قادر بآياته وكلماته على هدايتهم .. ولوكانوا يطلبون الإيمان حقاً .. لكان فى القرآن مايكفى ومايشفى ..

بل إن القرآن الكريم .. وبالكلمة التى هى لحمته وسداه .. هو السلاح الأكبر .. الذى أمر ﷺ أن يجاهدهم به جهاداً كبيراً .. وإنما يكون السيف آخر الدواء .

يقـول الله عـز وجل : ﴿ **ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا . فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيرا** ﴾ الفرقان الآية « ٥١ - ٥٢ »

والمعنى : [ولو شئنا .. بما لنا من العظمة ونفوذ الكلمة لبعثنا فى كل قرية نذيرا أى : من البشر أو الملائكة أو غيرها من عبادنا كما قسمنا المطر .. لأن الملك كله لنا .. ليس لنا شريك يمنع من ذلك .. بما له من الحق .. ولا ولد يمنع بماله من الدلة .. ولكنا لم نفعل .. لما فى آيات القرآن من الكفاية فى ذلك .

فلا تطع الكافرين فيما قصدوا من التقتير عن الدعاء به .. بما يبدونه من المقترحات أو يظهرون لك من المداهنة أو من القلق من صادع الإنذار .

ويخيلون أنك لو أقللت منه رجوا أن يوافقوك .

وجاهدهم : بالدعاء به أى بالقرآن]

يقول صاحب الظلال :

[إن فى هذا القرآن من القوة والسلطان والتأثير العميق .. والجاذبية التى لاتقاوم .. ماكان يهز قلوبهم هزا .. ويزلزل أرواحهم زلزالا شديدا .. فيغالبون أثره بكل وسيلة فلايستطيعون إلى ذلك سبيلا .

ولقد كان كبراء قريش يقولون للجماهير : لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون .

وكانت هذه المقالة تدل على الذعر الذى تضطرب نفوسهم ونفوس أتباعهم من تأثير هذا القرآن]

ومعنى ذلك كما يقول صاحب الكشاف :

[أن الكفار يجدون ويجتهدون فى توهين أمرك .. فقابلهم من جدك واجتهادك .. وعضك على نواجزك بما تغلبهم به وتعلوهم]

ألا إن الله تعالى قادر على فرض الإسلام عليهم فرضا .. فظلت أعناقهم خاضعة وأبصارهم خاشعة .. ولكن يكفى القرآن سبيلا إلى حيث يهتدون .

الكلمة القرآنية

ألا وإن للكلمة خصوبتها .. وبركتها .. اقرأ قوله تعالى :

﴿ **والله يرزق من يشاء بغير حساب** ﴾ البقرة الآية «٢١٢»

وانظر : هل ترى كلاماً أبين من هذا فى عقول الناس ؟ ثم انظر : كم فى هذه الكلمة من مرونة .. فإنك لو قلت معناها : أنه سبحانه يرزق من يشاء بغير محاسب يحاسبه .. ولاسائل يسأله : لماذا يبسط الرزق لهؤلاء ويقدره على هؤلاء .. أصبت .

ولو قلت : إنه يرزق بغير تقتير ولا محاسبة لنفسه عند الإنفاق خوف النفاد .. أصبت .

ولو قلت : إنه يرزق من يشاء من حيث لاينتظر ولايحتسب .. أصبت

ولو قلت : إنه يرزقه بغير معاتبة .. ومناقشة له على عمله.. أصبت

ولو قلت : يرزقه رزقاً كثيراً .. لايدخل تحت حصر وحساب .. أصبت

فعلى الأول :

يكون الكلام تقريراً لقاعدة الأرزاق فى الدنيا .. وأن نظامها لايجرى على حسب ماعند المرزوق من استحقاق بعلمه أو عمله .

بل تجرى وفقاً لمشيئته وكلمته سبحانه فى الابتلاء .. وفى ذلك مافيه من تسلية لفقراء المؤمنين .. ومن الهضم لنفوس المعزورين من المترفين .

وعلى الثانى :

يكون تنبيهاً على سعة خزائنه وبسطه يده جل شأنه .

وعلى الثالث :

يكون تلويحاً للمؤمنين بما سيفتح الله لهم من أبواب النصر والظفر .. حتى يبدل عسرهم يسرا .. وفقرهم غنى من حيث لايظنون .

وعلى الرابع والخامس :

يكون وعدا للصالحين .. إما بدخولهم الجنة بغير حساب .. وإما بمضاعفة أجورهم أضعافاً كثيرة لايحصرها العد .

ومن وقف على علم التأويل واطلع على معترك أفهام العلماء فى آية آية .. رأى من ذلك العجب العاجب .

ألا إن الكلمة القرآنية

نقية .. فلا كدر .. وافية .. فلانقص .. والقرآن الكريم معجز .. فى مقطعه ومطلعه .. فى بدايته ونهايته .

أثر الكلمة

إن المسافات بين البشرية واسعة واسعة .. وبالكلمة نعبرها .. ثم نعبر عنها .. ومن قدسية الكلمة وقدرتها وتأثيرها أنها تقف من وراء الأعمال :

وذلك بعض مايشير إليه قوله تعالى :

﴿ **يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم** ﴾ الأحزاب الاية « ٧٠ - ٧١ »

وقوله تعالى : ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** ﴾ فاطر الآية « ١٠ »

وعن أثر الكلمة يقول الشيخ على الطنطاوى :

[وربما مرت الكلمة فلم نلتفت إليها عندما كان ينطق بها .. ولكنها كانت تغرس فى نفوسنا .. تنزل إلى أعماقنا .. قد تجوز الصحراء فلا ترى إلا أرضاً جرداء لاظل ولاماء ولانبتة خضراء فإذا نزل المطر اهتزت وربت وكسيت ثوباً أخضر من العشب والزهر .

وصارت مرعى للسوائم .. ومتعة للنظر فمن أين تراه قد جاء هذا النبات ؟

من بذور صغار .. قد لاتأخذها من دقتها الأبصار قد ركب الله لبعضها مايشبه الأجنحة القصار تحملها الرياح فتلقها بين حبات الرمال فلا ترى إلا تلالاً من الرمل تتلظى تحت وهج الشمس .. ثم كان منها : الزهر البارع والثمر اليانع وكذلك كل ماتسمعه.. لاسيما إذا سمعته فى الصغر] وتأمل قوله تعالى :

﴿ **وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى فارزقوهم منه** ﴾

ولايكفى ذلك العطاء فى برهم .. وإنما يبقى للكلمة أثرها .. وذلك قوله تعالى بعد ذلك مباشرة : ﴿ **وقولوا لهم قولا معروفا** ﴾

ولاحظ أن « لاإله إلا الله » كلمة .. ولكن الكفار لم يقولوها .. لعلمهم بتبعاتها!!

ولقد كان ﷺ يعيد الكلمة ثلاثاً .. خالياً من سجع الكهان الذى يخدع السامع .

وخالياً أيضاً من اللفظ الصعب حتى لايكون بينه وبين المستمع حاجز بل هو اللفظ الواضح السهل .. فكان كلامه فصيحاً .. وأداؤه كذلك فصيحاً .

فلم يكن خطيباً منفعلاً .. وإنما هو المتحدث الذى « يفعل » بسامعيه مايريد .

خطورة الكلمة

قيل لبعض السلف : حدثنا .. فسكت ثم قيل له : حدثنا فقال :

أتأمروننى أن أقول ماأفعل . فأستعجل مقت الله ؟!

قاعدة انطلاق الكلمة :

سأل السائل حاجة فأوجز فى كلامه فقال المسئول : تكلم .. أليس لك قدرة على ذلك ؟ فقال : وكيف لايقل كلامى ومعى حيرة الطلب .. وذل المسألة .. وخوف الرد ؟!!

الكلمة مصدر بلاء

قال أبو الأسود الدؤلى :

لاتقبلـن نميمـة بلغتهـا	∴	وتحفظن مـن الـذى أبناكهـا
إن الذى أهدى إليك نميمة	∴	سينم عنك بمثلها قد حاكها .

الكلمة مصدر رخاء

سمع « يزيد بن مزيد » صائحاً يقول : يايزيدُ بن مزيد . . فطلب يزيد .. فجئ به وتمثل بين يديه فقال له :

ماحملك ياهذا على الصياح بى والمناداة باسمى ؟

قال : فقدت دابتى .. ونفدت نفقتى وسمعت قول الشاعر :

إذا قيل : من اللجوء والمجد والذوى ∴ فناد بصوت يايزيد بن مزيد

فأعجب يزيد بسرعة خاطره . وحسن استحضاره وأمر له بفرس أبلق كان معجباً به ولقد بلغ اعتزازهم بالكلمة العربية أن قال واحد من الغيورين:

« لأن أشتم باللغة العربية .. خير من أمدح بلغة أجنبية » !؟

حسن تخلص

رد ابن شبرمة شهادة رجل وقال : بلغنى أن جارية غنت فقلت لها :

أحسنت !

قلت لها ذلك حين ابتدأت أم حين سكتت !؟

فقال : حين سكتت .. إنما استحسنت سكوتها أيها القاضى !!

لايجهل أحد الحكمة القائلة : إذا كان الكلام من فضة فإن السكوت من ذهب .. ولكن « الجاحظ » كان يسطو بحجته ، وقوة منطقة ، وبراعة بيانه ، على المعانى المتعارفة ، والنصائح المألوفة ، فيكشف عن زيفها ، ويدلل على ضدها .

من ذلك حملته على الصمت ، وايثاره الكلام عليه ، إذ يقول :

[الكلام أفضل من الصمت ، لأن نفع الصمت لايكاد يعدو الصامت ، ونفع الكلام يعم القائل والسامع ، والغائب والشاهد ، والراهن والغابر . ومن فضل الكلام على الصمت أنك بالكلام تخبر عن الصمت وفضله ، ولا تخبر بالصمت عن فضل الكلام . ولو كان الصمت افضل لكانت الرسالة صمتاً ، ولكان عدم القرآن افضل من القرآن ، وقد فرق بينهما رسول الله ﷺ ، حيث قال : « رحم الله امرأ قال خيراً فغنم ، أو سكت فسلم » فجعل حظ السكوت السلامة وحدها ، وجعل حظ القول الجمع بين الغنيمة والسلامة ، وقد يسلم من لايغنم ، ولايغنم إلا من سلم .. »

الكلمة على المستوى السياسى

كان سعد زغلول .. إذا شك فى جمال عبارة .. قرأها بصوت عال .. حتى يتذوقها .. وكان «رابين» يلقى خطاباً سياسياً .. وفجأة نبه مستمعيه إلى أنه سيقرأ عليهم الآن جملاً من التوراه وقبل أن يقرأ .. وضع على رأسه قلنسوة الصلاة اليهودية .. ثم بدأ يرتل فى خشوع والناس بين يديه صامتون خاشعون !!

ومع ذلك .. فنحن نتساءل مع المتسائلين :

هل انتشر الإسلام بالسيف ؟

أذكر للغمراوى رحمه الله .. محاولة شافية أجاب بها عن هذا السؤال:

١- نحن لانقاتل كل أحد ... بل نقاتل الذين قاتلونا وأخرجونا من ديارنا .. وظاهروا من حاول إخراجنا بل نحن منهيون عن موالاتهم .

٢- ليس فى الإسلام مايسمى بالاستعمار فأساس الحياة هو :

أن الملك لله والحكم لله تعالى والدنيا لاتساوى شيئاً .. والحاكم واحد من الناس .. يطاع ماأطاع الله تعالى (تكليف لاتشريف)

٣- والحرية مكفولة لكل إنسان .

٤- ولاخوف من الفوضى .. لأن أهل الحل والعقد يراقبون ويحاسبون .

٥- إذن .. فالاستعمار بالمعنى المعروف غير معروف فى الإسلام .. وأين هذا مما يحدث من تسخير الأفارقة ليخدموا البيض .

٦- لقب ذمى « تشريف » :

والمسلم يدفع حياته دفاعاً عنه نظير حفنة من المال .

٧- مايفعله المسلم من قتاله للمصريين المعاندين هو مايفعله مع إخوانه المسلمين المتقاتلين ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا** ﴾

٨- الحرية الممنوحة للمسلم .. محكومة بالمثل العليا : لاتقتلوا شيخاً .. ولاتقطعوا شجرة .

وإذن .. فلا مجال لاتهام الإسلام بأنه يفرض وجوده بقوة السلاح وهذا ماشهد بصحته المنصفون من كتاب الغرب :

يقول المؤرخ الفرنسي « غوستاف لوبون » في كتابه « حضارة العرب» :

[إن الأديان لاتفرض بالقوة فلما قهر النصارى عرب الأندلس .. فضل هؤلاء القتل والطرد عن آخره .. على ترك الإسلام]

يقول العقاد :

[انقضى عهد النبى ﷺ والمسلمون يعلمون حدودهم فى كل علاقة تعرض لهم مع جيرانهم .. علاقة المودة والوئام .. وعلاقة الحرب والتعاقد .. وعلاقة المودة والمهادنة .. وعلاقة الأمان والاستئمان .

وهذه العناية بإقامة الحدود .. وبيان واجباتها .. هى وحدها حجة قائمة للإسلام على خصومه الذين يتهمونه بأنه دين التعصب والإكراه الذى لايعرف غير شريعة القوة أو شريعة السيف .. فمن كان لايعرف غير شريعة السيف .. فما حاجته إلى بيان لكل حالة من حالات السلم والحرب بأحكامها وواجباتها والوفاء بعهودها] [1]

ومن صور الوفاء بهذه العهود ماروى عن سالم بن عامر قال :

كان بين معاوية وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم ليقرب .. حتى إذا انتهى العهد غزاهم .. فجاء رجل على فرس وهو يقول :

الله اكبر .. الله اكبر .. وفاء لاغدر ! فإذا هو عمرو بن عبسة .. فأرسل إليه معاوية فسأله فقال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول :

(من كان بينه وبين قوم عهد فلايشد عقدة ولايحلها حتى ينقضى أمدها . أو ينبذ إليهم على سواء .. فرجع معاوية) [٢]

وهكذا ينزل معاوية المسلمين وهو من هو احتراماً للعهد لأن العهد كان مسئولاً.

الحرب سنة كونية

فى كتابه « شبهات حول الجهاد فى الإسلام » يقول د. على جمعة :

[إن المسيحية على الرغم من وداعتها وسماحتها التى تمثلت فى النص المعروف: «من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر] إلا أنها تشير إلى أن السيد المسيح عليه السلام قد يحمل السيف ويخوض غمار القتال إذا دعته الظروف لذلك.

فقد جاء فى الإنجيل على لسان السيد المسيح : « لاتظنوا أنى جئت لأرسى سلاماً على الأرض .. ماجئت لأرسى سلاماً .. بل سيفاً .. فإنى جئت لأجعل الإنسان على خلاف مع أبيه والبنت مع أمها والكنة مع حماتها وهكذا يصير أعداء الإنسان أهل بيته] انجيل متى الاصحاح العاشر/ ٤-٣٦ .

ولعلنا نلاحظ التشابه الكبير بين هذه المقولة وحديث الرسول ﷺ :

(بعثت بالسيف بين يدى الساعة حتى يعبد الله وحده) رواه أحمد وأبو داود

[إن السلاح لم يكن ألبتة خطراً على البشرية مادامت الأيدى التى تتصرف به نظيفة طاهرة ومن مقارنة بسيطة بين المبادئ المسلحة اليوم كالرأسمالية وغيرها .. وكيفية استعمالها للسلاح .. ومن استعراض سريع لمبتكرات العلم الحديث التى جعلت أجل الإنسانية أو هى من خيط العنكبوت .

هذا الاستعراض .. وتلك المقارنة تجعلنا نؤمن إيماناً لايداخله ريب .. بأن سلاح الإسلام كان خيراً وبركة وكان خيراً وطمأنينة للناس] [1]

أما بعد :

فهل الإسلام هو الذى يدفع المؤمنين به إلى العنف ؟ هل هى المسيحية ؟ هل اليهودية ؟ إن أبناء الأديان الثلاثة قد وضعوا أيديهم على الزناد يطلقون النار : مدافع وصواريخ وقنابل بشرية وطائرات .. إنهم المسلمون فى افغانستان والشيشان ، والمسيحيون والملحدون الروس واليهود فى إسرائيل وهم جميعاً فى حالة حرب ولكن من الذى يعتدى على من ؟ إن الذين يدافعون على أرضهم هم المعتدى عليهم ، وهم المسلمون فهم يحررون أرضهم من الاحتلال فى فلسطين ، وفى الشيشان ، وفى أفغانستان ، وفى العراق .

والأمريكان وإسرائيل يرون أن البرامج الدينية فى المدارس العربية هى التى تغرق الطلبة الصغار فى التعصب الدينى وكراهية أبناء الديانات الأخرى .. ويرون أن الجرعة الدينية فى المدارس تجعلهم يؤمنون بالخرافة ويؤمنون بالدين الواحد.. وأنهم فى حالة من الحرب إلى أن تسلم الكرة الأرضية - هم الذين يقولون ذلك ويفترون على المسلمين والإسلام

(١) شبهات حول الجهاد فى الإسلام ، د. على جمعة .

والشائعات كثيرة من المحيط إلى الخليج ، ومن البحر إلى النهر وقالوا إن الدول العربية قد سارعت بتغيير مناهج التعليم وحذف المواد الدينية المكثفة من الكتب ؟!

أما الشئ العجيب الذى أدهش المستشرق الألمانى المسلم مراد هوفمان فهو الموقف السلبى للأمة الإسلامية كيف يرون ويسمعون ويسكتون ؟ كيف يملكون كل هذه الأموال ، والآبار ، والشبكات ، والفضائيات ، ولايبرئون دينهم الحنيف من هذه الأكاذيب ؟!

الواجب على المسلمين أن يذهبوا إلى خصوم الإسلام بنفس الطريقة : بالتليفزيون ، والإذاعة ، والكتب ، وباللغة التى يفهمها الغرب .

إن رجلين استطاعا ذلك هما : الرئيس عزت بوجوفيتش رئيس البوسنة ، والسفير الألمانى مراد هوفمان . فما كتبه بوجوفيتش عن الإسلام تحفة وعظمة عقلية .. لقد كتب للغرب بلغتهم بمنطقهم بأسلوبهم العلمى .. لا خطب ، ولامواعظ ، ولاخرافات .. وكذلك السفير هوفمان الذى تناول قضايا الإسلام ، والوضوح . إن هذين الرجلين وحدهما وبإيمانهما يعادلان كل مافعلته الجامعات والمعاهد الإسلامية فى عشرات السنين .

فى مجال التطبيق

وقد كان الواقع الماثل خير شاهد على أن الإسلام لم ينتشر بالسيف .. من خلال هذه النماذج التى دخلت الإسلام طواعية واختياراً .. عن طريق التفكير الحر المستنير .

ومن هذه النماذج مايلى :

حساب .. يقود إلى الإيمان بيوم الحساب

د . « غالى ميللر » أستاذ فى جامعة الملك فهد للبترول والمعادن .

كان متعصباً لنصرانيته تعصباً حمله على البحث وصولاً إلى تلمس أخطاء حسابية فى القرآن تنقص أساسه العلمى والمنطقي .. فماذا وجد ؟

المفاجأة الأولى : وجود سورة كاملة باسم « مريم » فيها تشريف لها .. وسأل نفسه :

سورة مريم باسم مريم .. ولايجعل القرآن سورة خاصة بعائشة أو فاطمة بنت محمد ؟

المفاجأة الثانية : أن عيسى عليه السلام مذكور فى القرآن خمساً وعشرون مرة ومحمد عليه السلام مذكور خمس مرات فحسب !

المفاجأة الثالثة : القرآن الكريم نفسه يتحدى الناس أجمعين أن يوجدوا فيه خطأ .. فإذا كان هذا من تأليف بشر فلا أحد من البشر يملك الجرأة على الادعاء أن عمله خال تماماً من الخطأ والنشوة .

المفاجأة الرابعة : يقول عز وجل : ﴿ **أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حى فلا يؤمنون** ﴾

وهو الموضوع عينه الذى نال به جائزة « نوبل » عام ١٩٧٣م عن نظرية الانفجار الكبير .

المفاجأة الخامسة : قصة أبى لهب : سورة « المسد » نزلت قبل عشر سنوات من وفاة أبى لهب وقد قررت أن أبا لهب سيذهب إلى النار وخلال هذه السنوات كان يمكن لأبى لهب أن يأتى إلى الناس فيقول لهم : (محمد يقول إننى لن أسلم وسأدخل النار .. ولكنني أعلن أمامكم أننى أصبحت مسلماً فما رأيكم : هل محمد صادق أم كاذب !

ثم هناك حقائق مطردة لاتتبدل :

أ- لتجدن أشد الناس عدواة للذين آمنوا اليهود .. وكان بإمكان اليهود أمام هذا التحدى التظاهر بحسن معاملة المسلمين .. لكنهم لم يفعلوا .. ولن يفعلوا .

ب- أسلوب القرآن يختلف عن أساليب الكتب الأخرى مما يدل على تحريفها.

جـ- أهل مكة لم يقولوا فى القرآن خطأ .. وإنما قالوا : سحر وجنون والشيطان تنزل به مع أن القرآن يحض علي التعوذ من الشياطين عن تلاوته .

وقال « ميللر » :

لو يدرك المسلمون بحق قيمة ماعندهم . لازدادوا شكراً وحمداً لله سبحانه وتعالى.

وهكذا : قاده الحساب إلى الإيمان بيوم الحساب [وحاسب نفسه قبل أن يحاسب] !!

يقول أحد الباحثين

لم يكن اسم لورا فيشيا فاغليرى بالاسم الذائع الصيت ، حين وقعت عينى ، قبل سنوات ليست بالقليلة ، على كتاب لها صغير ، يحمل هذا العنوان الغريب (دفاع عن الإسلام) .. استوقفنى هذا العنوان ، ولكن سرعان مازججت بهذا الكتاب ، الذى قام بترجمته منير البعلبكى ، فى ركن مامن أركان مكتبتى ، وكنت كلما جال فى خاطرى شئ عن الإسلام ، أجدنى أمام هذا الكتاب وجهاً لوجه ، أضعه بين يدى ، ثم سرعان ماأعيده إلى موضعه دون أن أبادر بقراءته . ولم أكن لأجد لهذا الأمر سبباً أو تفسيراً .. فلعل لغرابة اسم الباحثة جزءاً فى هذا الحاجز ، أو لعلنى ، حينذاك ، لم أكن لأشعر بأن ثمة حاجة ماسة لأن أقرأ لكاتبة غربية كتاباً تدافع فيه عن الإسلام !

لكنها الكتب .. التى لانعرف أى قدر سوف يقودنا ، بعد مد وجزر ، إليها ، وهاأنا ذا أعود إلى هذا الكتاب الصغير ، وقد نزع فى نفسى نازع إلى أن أقرأ بعض ماكتبه الغربيون - وهو كثير - عن الإسلام ، يحدونى إلى ذلك رغبة دفينة فى أن أمارس متعة المعرفة ، وهل هناك أنقى وأروع من لذة يهبها إلى عقلك ووجدانك كتاب ! ثم لكى أجعل لهذا الكتاب الصغير موقعاً فى مفرداتى القرائية ، ولأزداد معرفة بلورا فيشيا فاغليرى .. وهكذا كان .

والذى أعرفه عن لورا فيشيا فاغليرى أنها كانت أستاذة للغة العربية فى جامعة نابولى الإيطالية ، وأنها أصدرت هذا الكتاب سنة ١٩٢٥م دفاعاً عن دين لاتنتمى إليه ، ولكنها أخلصت فى دراسة أصوله وثوابته

وقيمه ، ووجدت من الواجب عليها أن تحرر الكثير من المفاهيم المغلوطة عن الإسلام . تلك المفاهيم التى أسهم فى صياغتها ، آنذاك ، الخطاب الاستعمارى ، والمركزية الفلسفية الغربية ، فكان كتابها هذا ضرباً من المعرفة المحايدة ، التى وصلت بها إلى أن يغدو عملها ذلك تقويضاً للكثير من الرؤيات التاريخية والفلسفية والدينية التى يرى بها الآخر - وبخاصة الغربى - الإسلام ، وأن تضع يدها على الجوهر العميق الذى يميز الإسلام من غيره من الأديان ، وأن تدرك أى قيم روحية يحملها هذا الدين فى أصوله ، وأى إنسان صنعه حين ربطه بعبادة الله الواحد الأحد ، وحرره من الطغاة والطواغيت ، وقرن أسس الإيمان بقيم التكافل والمواساة ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون** ﴾ (البقرة« ١٧٧ »)

كان أكثر مايشغل ذهن لورا فيشيا فاغليرى ، وهو ماشغل غير قليل من الباحثين ، سر انتشار الإسلام فى مشرق الأرض ومغربها ، وفى سنوات قليلة ، وعلى نحو كاسح .. ولقد أشاحت بوجهها عن المقولات التى تفسر هذه الظاهرة بالسيف ، والسيف وحده ! كما فى كتابه العزيز ، لم يقسر أحداً على الدخول فيه ، بل إنه كفل لغير المسلمين حرية العبادة .. إذن ، ليس ثمة سوى سهولة هذا الدين ، وبعده عن التعقيد أو الغلو ، وحدبه بالمستضعفين ، وهذا ماقاد فاغليرى ، كما قاد غيرها ، إلى أن تفسر تقدم

الإسلام وعلوقه بالقلوب والعقول ، فى البلدان التى ليس فيها للإسلام والمسلمين حكومة ، إلى سهولته ويسره ، فإن أحداً لايستطيع اليوم أن يزعم أن سيف الفاتح هو الذى يمهد السبيل أمام الإسلام على العكس ففى الأصقاع التى كانت فى يوم من الأيام دولاً إسلامية تولت مقاليد السلطة حكومات جديدة تنتسب إلى أديان أخرى ، وعملت فى أوساط المسلمين طوال فترات عديدة منظمات تبشيرية قوية ، ومع ذلك فإن هذه الحكومات وتلك المنظمات لم توفق إلى زحزحة الإسلام وإقصائه عن حياة الشعوب الإسلامية !

ليتنى أعرف المدى الذى حققته ترجمة كتاب « دفاع عن الإسلام » إلى اللغة الإنكليزية عام ١٩٥٧م / لكننى أشعر أن كتابها هذا جدير بفسحة من التأمل العميق لكاتبة نافحت عن الإسلام فى تلك السنوات المبكرة من القرن العشرين « ١٩٢٥م » وبينما كانت الشعوب الإسلامية ، حينذاك ، تترقب عالماً جديداً تنتمى إليه ، وتبنى دولاً تتلمس دربها ، وكانت النخب المثقفة فيها تسأل : أين الطريق ؟ فى تلك الأثناء كانت لورا فيشيا فاغليرى تنهى كتابها بهذه العبارات ذات الدلالة .

فإلى الكتاب العزيز الذى لم يحرفه قط لا أصدقاؤه ولا أعداؤه ، لاالمثقفون ولا الأميون ، ذلك الكتاب الذي لايبليه الزمان والذى لايزال إلى اليوم كعهده يوم أوحى الله به إلي الرسول الأمى البسيط أخر الأنبياء حملة الشرائع - إلى هذا المصدر الصافى دون غيره سوف يرجع المسلمون . حتى إذا نهلوا مباشرة من معين هذا الكتاب . فعندئذ يستعيدون قوتهم السابقة من غير ريب !

راهبة إسلامية تعلن إسلامها

السنغال :

أشهرت راهبة إسمها جان غيابير إسلامها بأحد المساجد بمدينة فوغا بالسنغال ، وتنتسب هذه المرأة إلى أسرة متأصلة فى النصرانية ، وقد أحدث اعتناقها للإسلام اضطراباً فى صفوف النصارى بالمدينة ، نظراً للمكانة العالية التى تمثلها هذه المرأة فى قلوبهم والتى أصبح اسمها بعد إسلامها مريم غيابير .

وحول الأسباب التى دفعتها إلى اعتناق الإسلام ، أوضحت مريم غيابير أن اعتناقها للإسلام جاء بعد بحث طويل وعميق فى الشرائع والديانات الأخرى . فلم تجد من بينها شريعة وديناً يوازي الشريعة الإسلامية فى عدالتها وحكمتها وسمو تعاليمها الكفيلة بإنقاذ البشرية .

المستشرقة شيميل : آثرت العلم على الزواج

عندما منحت المستشرقة آن ماري شيميل جائزة السلام عام ١٩٩٥م ، ثار جدل واستقطاب في أوساط المثقفين الألمان حول جدارتها بالجائزة .

وليس من شك في أن شخصية البروفيسورة شيميل ، هي التي تسببت في ذلك الجدل ، فهي مشهورة بدفاعها عن الإسلام والتعبير عن حبها للشرق وللحضارة الإسلامية.

شيميل التي توفيت منذ أشهر شرحت علاقتها بالدراسات الشرقية وبالإسلام ، فقالت : أنا لا أستطيع أن أبحث في موضوع لا أحبه .

قد يرى الكثيرون أن الانتاج الفكري والثقافي التي خلفته شيميل ٨٠ كتاباً تحفل بالتشوهات من جراء تأثرها بثقافتها ، وقد يراه آخرون أنه لاينتسب إلي الإسلام الصحيح ، غير أن الجانب الإيجابي في كل ذلك هو اخلاصها للحضارة التي أحبتها ومثابرتها في تقديم صورة حسنة عنها ، وقد وصفها الرئيس الألماني رومان هيرتزوج : لقد عملت آنا ماري شيميل على أن نعرف بعضنا بعضاً ، وعلمتنا كيف نمد الجسور مع حضارات آخرى.

إن من أبرز الملامح في شخصية ماري أنها حصلت على الدكتوراة في سن صغيرة (١٩) سنة ، وتمكنت من إتقان عدد من اللغات مع الإلمام بلغات أخرى مثل : الألمانية والعربية والانجليزية والفارسية والسندية والسيريكية والبشتونية .

وهي على الرغم من حصادها الكثير من الأوسمة وشهادات التقدير ودرجات الدكتوراة الفخرية ، وعضوية الأكاديميات والجوائز ، فهي لم تحقق أمل كل إنسان في حياته ، وهو لزواج وتكوين أسرة وإنجاب أطفال .

وقد كشفت عن جوانب من حياتها ، حين أجابت على سؤال عن المنابع الأساسية لفكرها ، فقالت : ان الوسط الذى عشت فيه بعيد كل البعد عن

كل مايتصل بالثقافة العربية والاسلامية ، وكانت هى الحقيقة ، فى ذلك الوقت المبكر من حياتى ، فأنا من عائلة متوسطة الحال ، وقد كان والدى يعمل فى البريد ، فى حين كانت والدتى ربة بيت ، ولست أدرى كيف بدأ اهتمامى بالشرق وبالإسلام ، واذكر أننى كنت فى السابعة من عمرى ، لما قرأت حكاية عربية رائعة من حكايات ألف ليلة وليلة ، ولعل تلك الحكايات هى التى جعلتنى أقرر أن يكون العالم العربى الإسلامى مادة اختصاصى العلمى ، وقد كان هذا قرارى ، ثم بدأت أتعلم اللغة العربية وأنا فى عمر الخامسة عشر ، وساعدنى على ذلك أستاذى الألمانى الذى كان يدرس فى الجامعة وكان يحسن اللغة العربية ، ومنذ البداية أحببت هذه اللغة وشيئاً فشيئاً تمكنت من مطالعة الكتب ومن قراءة القصص العربية، بل أننى حفظت جزءاً من القرآن الكريم .

من منطلق هذه الخلفية ، كان موقفها دائماً منحازاً إلى الإسلام وإلى ثقافته ، فعندما اشتدت الحملات على المسلمين فى السنوات الأخيرة ، بحجة التهديد الإسلامى ، قالت : إن التهديد الإسلامى كما تصوره وسائل الإعلام ، ليس له وجود فى الواقع ، ولاوجود لدليل على أن الإسلام يؤدى وظيفة العدو الجديد المزعوم .

ويفسر هذا أيضاً موقفها من المرتد سلمان رشدى ، ونقدها الشديد له ولعمله الروائى (آيات شيطانية) وكان لها موقف مناهض لتشهير الغرب بوضع المرأة المسلمة ، فتكلمت وكتبت عن الجهل بوضع المرأة المسلمة ، وعن الأحكام الضالة عن الإسلام نتيجة المعلومات الناقصة . وكانت مارى تردد أن المرأة فى الإسلام اكتسبت منذ القرن السابع الميلادى حقوقاً لم تنلها المرأة الاوروبية إلا فى القرن العشرين ، مثل الحق فى التصرف المالى ، وإن هذا الوضع جعل المرأة المسلمة متقدمة على المرأة الأوروبية .

أين ذهبت أموالهم ؟!

أعلن الفاتيكان قبل أكثر من عشرين عاماً عن خطة تكون فيها قارة أفريقيا عام ٢٠٠٠م كلها مسيحية واعتمدت لهذه الخطة ميزانية ضخمة تساوى جملة الميزانيات التى ترصدها المنظمات الإسلامية مجتمعة أضعاف المرات .. ولسنوات عديدة .

كنا فى ذلك الحين نشفق على المسلمين الضعفاء فى افريقيا من أن تنهار عزيمتهم ، ويتهاوى إيمانهم أمام هذا الإغراء المادي الضخم ، فيحدث لهم مالا تحمد عقباه .

كنت أتساءل مع أحد الأصدقاء فى ذلك الوقت ، كم من الزمن يستطيع المسلمون الأفارقة الضعفاء الصمود أمام هذا الإغراء المادى ومقاومته ؟!! وكم من الزمن ستصمد قلعة الإسلام فى افريقيا أمام هذه الحملة النصرانية الشرسة ؟!

وقد أراد الله سبحانه وتعالي أن نعيش ونمسك بتلابيب عام ٢٠٠٠م فماذا كانت نتيجة الحملة ؟!! هل تحولت فعلاً افريقيا كلها إلى المسيحية كما خططوا لذلك ؟

الواقع أحبط كل توقعاتهم والبناء أصبح يتآكل من الداخل ، بفعل التصدع والتشقق الذى أصاب جدرانه ، فذلك قسيس يعلن دخوله الإسلام .. وتلك راهبة تشهر إسلامها فى إحدى المدن السنغالية وأحدث إسلامها اضطراباً فى صفوف النصارى .

إذاً لم تضطرب صفوف المسلمين فى افريقيا .. ولم تهتز كما توقعوا.. ولم تستسلم للإغراء المادى !!

لقد أكدت الراهبة مريم غيابير - وهذا اسمها بعد إسلامها - بنفسها أن المادة ليست كل شئ فى الحياة .. واقتنعت بعد بحث عميق أن الدين الإسلامى لايوازيه فى عدالته وحكمته وسمو تعاليمه دين آخر .

الحمد لله - الذى بدل شفقتنا وخوفنا ، أمناً واطمئناناً ونصراً وفتحاً مبيناً .. وهاهى افريقيا كما نراها - بعد عام ٢٠٠٠م - قارة تقف شامخة يكتسب الإسلام بين أرجائها كل يوم مساحات جديدة ، ويزداد أبناؤها تمسكاً بالإسلام ، ورفضاً لكل الإغراءات المادية .

لقد راهنوا على أن الإغراء المادى سيفعل فعله السحرى بين أبناء المسلمين فى القارة السمراء .. ولكنهم فى النهاية .. ها هم يخسرون الرهان .. وليتساءلوا .. أين ذهبت أموالهم؟!

أما بعد : يقول أحد الكاتبين :

لا أحد أسوأ من أحد .. فمن خمسين عاماً أصدرت مؤسسة فرانكلين الأمريكية فى مصر (موسوعة) وليس فى هذه الموسوعة ذكر للكلمات الآتية : اسرائيل .. الصهيونية .. العدوان الثلاثى على أساس أن اسرائيل (مزعومة) - يعنى مادمنا نكرهها فلا وجود لها وإذا كان لها وجود فهم مزعوم - أى يزعمه اليهود والأمريكان ولأن اسرائيل لاوجود لها فلم تحارب أحداً سنة ١٩٤٨م ولا وقع علينا عدوان ثلاثى سنة ١٩٥٦م أى بعد الحدود المصرية يوجد بحر الظلمات . لماذا ؟

لأن الذى لانراه ليس موجوداً والذى لانسمع له صوتاً ولاصدى ولاأذى لانعترف به فهو خيال .. مزعوم وظللنا على هذه الحال نتوجع ونندم وفى الوقت نفسه نستعد للقاء العدو المزعوم !

وكان ذلك عيباً فينا وغلطاً ومغالطة وايهاماً لأنفسنا قبل أن يكون لغيرنا .

وارتكبت اسرائيل الحماقة نفسها فقد صدرت التعليمات للتليفزيون الإسرائيلى والإذاعة باستبعاد الكلمات العربية التى دخلت اللغة العبرية واللغات الأوروبية بشكلها العربى .. إنها كلمات : الانتفاضة والهدنة والجهاد .

يعنى لايصح ذكر هذه الكلمات الوهمية الخرافية . فلم تحدث انتفاضة ولم تتحقق هدنة ولايوجد أى جهاد ضد اسرائيل .. لماذا ؟ جاء فى التعليمات إلى الميكروفونات والشاشات أنه لابد من البحث عن مرادفات عبرية مناسبة لهذه الكلمات أو استبعادها نهائياً . لأن معنى ذلك أن (هؤلاء) العرب يكتبون التاريخ اليهودى .. ويضعون على الأقلام كلمات عربية دون مرادف عبرى لها وأن اللغة العربية التى كانت ميتة واستطاعت أن تعيش وأن تساير اللغات الحديثة وأن تضيف إليها جديداً وأن تقوم بنحت كلمات جديدة لم ترد لا فى التوراة ولا التلمود ، كيف نعجز عن نحت مرادف لهذه الكلمات ولايزال الغيورون على اللغة العبرية يستنكرون الكلمة القبيحة للدلالة على التطبيع وهى كلمة مأخوذة من الفرنسية والانجليزية والايطالية وهى (النرمول) أى العلاقة ، النورمال أى الطبيعية . وبرغم قبح هذه الكلمات فى الذوق اليهودى فقد بقيت ولاتزال . وان كان كثيرون يرون – كما يرون فى الهدنة والانتفاضة والجهاد – أما الذى تحقق فهو الغرور والحماقة وخداع النفس .

تمهيد:

فى دولة أجنبية .. وفى غرفة العمليات .. وقف الطبيب الجراح وفى يده المبضع .. ثم قال للفتى المسلم الذى سيجرى له الآن عملية جراحية :

مع أننى الجراح .. وفى الموقف الأفضل .. ومع أنك المريض .. تعيش لحظة حرجة .. إلا أننى أحس بالقلق .. والتوتر .. بينما أنت هادئ مستسلم مطمئن فماهو سر هذه المفارقة العجيبة ؟!

وجاءت فرصة الدعوة بالحق .. وانتهزها الفتى المسلم فرصة يقول فيها كلمته الهادية .. بينما الظروف دوائية :

قال له : ياسيدى الطبيب .. إذا أردت أن تمتع عينيك .. فبماذا ؟

قال الطبيب : افتحها على المشاهد البهيجة .

قال الفتى : وإذا أردت أن تمتع أذنيك .. فبماذا ؟

قال : استقبل بهما الأصوات الشجية الرخيمة .

فقال الفتى : وإذاكان قلبك جارحة من جوارحك .. بل هو سيدها فبماذا تمتعه :

فسكت الطبيب .. وكان فى سكوته أبلغ منه فى كلامه !! وأراد الفتى أن يرمى بآخر سهم فى جعبته فقال له : وأنا مثلك ياسيدي الطبيب .. أمتع عينى حين أفتحهما على باسقات النخيل .. فى الوادي الأخضر .. واستقبل بأذنى أصوات الطيور المغردة .. ولكنك لست مثلى حين تركت قلبك خالياً .. خاوياً .. فكان بهذا الخواء هواء .. وكنت به فى قلق وتوتر .. أما أنا فأمتع قلبى بذكر الله .. ألا بذكر الله تطمئن القلوب !

وهكذا صار الطبيب مريضاً .. والمريض طبيباً !!

هكذا أدى الفتى المؤمن دوره .. وقال كلمته .. لقد آمن بالله عز وجل .. ثم صدر الأمن إلى قلوب الآخرين :

بالكلمة .. لا باللكمة.. بالحِكمة .. لا بالحَكمَة .. بالحرف .. لا بالسيف .. باللسان .. لابالسنان !!

وإذا كان خصومنا يودون أن نكفر كما كفروا .. لنكون فى الكفر سواء .. فإن الفتى المسلم هنا .. وباسم الإسلام يود أن لو سعدوا كما سعدنا .. لنكون فى السعادة سواء .. مؤكداً أن الإسلام هو الدين الوحيد المرشح لنشر الأمن فى ربوع العالمين .

وذلك إجمال يحتاج إلى تفصيل :

نعمة الأمن فى القرآن

يقول الله عز وجل : ﴿ **وقالوا إن نتبع الهدي معك نتخطف من أرضنا أو لم نمكن لهم حرماً آمنا يجبى إليه ثمرات كل شئ رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لايعلمون** ﴾ القصص « ٥٧ »

والمعنى كما يقول المفسرون :

أن المشركين لأنهم كانوا يتبعون هواهم قالوا : إن نكن معك مسلمين .. وأنت على ماأنت عليه من مخالفة الناس .. نتخطف من أرضنا حيث نكون (قليلاً فى كثير .. من غير نصير .. كنا نتخطف العصافير)

ويجيئهم الرد الحاسم القاصم : ﴿ **أولم نمكن لهم حرماً آمنا** ﴾

[غاية التمكين .. لهم .. فى أوطانهم لما لنا من القدرة « حرماً آمناً » يأمن فيه كل خائف حتى الطير من كواسرها والوحش من جوارحها .

حتى إن سيل الحل لايدخل الحرم .. ثم « يجبى إليه » يجمع ويجلب ممالا يرجونه ولاقدرة لهم على استجلابه إليه خاصة دون غيره من جزيرة العرب .

« ثمرات كل شئ »

من ثمرات البلاد الحارة : كالرطب والموز .. والباردة : كالعنب والتفاح] « رزقاً من لدنا »

والمعنى : [أنه تعالى لما جعل الحرم آمناً وأكثر فيه الرزق حال كونهم معرضين عن عبادة الله تعالى مقبلين على عبادة الأوثان .. فلو آمنوا .. لكان بقاء هذه الحالة أولى]

ثم يقول عز وجل فى سورة العنكبوت :

﴿ **أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمنا ويتخطف الناس من حولهم ..** ﴾ العنكبوت« ٦٧ »

لقد كان الحرم هو نفس الأمن الذى اختصهم الله تعالى به .. وهم قد أبصروا ذلك.

وفى نفس الوقت .. يتخطف الناس من حولهم : [تخطف الطيور مع قلة من بمكة وكثرة من حولهم .. فالذى خرق العادة فى فعل ذلك حتى صار على هذا السن .. قادر على أن يعكس الحال فيجعل من بالحرم متخطفاً ومن حوله آمناً]

وكان على قريش أن تشكر هذه النعمة الجليلة بعبادة واهبها عز وجل:

وذلك قوله تعالى : ﴿ **لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف** ﴾

إنها النعمة الظاهرة .. الإطعام .. فلا عيش مع الجوع .

والنعمة الباطنة .. فلا قرار مع الخوف

ولاحظ أنه عز وجل .. أطعمهم ولم يشبعهم .. فالشبع يؤدى إلى البطنة وهى مؤدية إلى موت الفكرة .. توقف العقل ثم خرست الحكمة .. وليظل المسلم مسبوكاً .. رياضياً .. لائقاً عسكرياً .. يمتطى الفرس خفيفاً .. فلا مساعدة من أحد !

ولاحظ ثانياً : عمق الإحساس بالأمن الذى تمشى فى دمائهم من حيث لم تكن الرحلة سهلة هينة فقط .. وإنما صارت شيئاً مألوفاً صارت « نزهة » كأنها أليف .. يأنسون به .. ويرتاحون إليه .

ثم إن الإطعام جاء بعد « جوع » شديد ولايعرف الشوق إلا من يكابده .

لقد ذهب الخوف الذى كان .. وتوفرت لهم لقمة العيش .. بعد «جوع» كاد أن يعصف بهم .. من حيث كانوا فى واد غير ذى زرع .

ثم آمنهم من خوف : فلم تكن لهم عدة .. ولم يكن لهم عدد كما وأنهم ليسوا بدوا من أهل الفروسية .. فكف عنكم بأس الناس .

من آصار الخوف

لقد حمى الله أوليا ءه من الخوف .. ومن الحزن ..

من الخوف «عليهم» من الخوف الذى يدمرهم .. فكأنما هو غول ينقض عليهم .. فينقض غزلهم .

وفى تاريخنا شاهد على ذلك :

كانت المرأة من التتار .. تمر بالعشرة من المسلمين .. فتقول لهم اجلسوا هنا .. لاتبرحوا الأرض .

ثم تذهب إلى بيتها ومعها « السكين » فتذبحهم واحداً واحداً .. وبلامقاومة .

فلما رأى القائد « المظفر شاه » ذلك أراد أن ينشئ فى قلوب أمته الشجاعة .. بعدما صار بهم الخوف إلى هذا الهوان .. فقطع رءوس بعض جنود التتار وعلقها .. فذهب الخوف !!

واليوم يحمل « محمد » الطفل الفلسطينى .. وعمره أربع سنوات يحمل فى يده « رضاعة » ثم يرمى بها جنودا اسرائيليين .. ففروا هاربين .. حيث ظنوها قنبلة !

الأمر الذى فرض عليهم الخوف إغلاق مئات المصانع فى الأرض المحتلة .. خوفاً ورعباً وحذراً أن تكون مصدراً للسلاح !!

وقد ذكروا أن قوماً ربطوا « شاة » بحيث ترى الذئب . . فما كان منها إلا أن رفضت ا لأكل .. ثم ماتت من الخوف !!

مصدر الأمن

ومصدر الأمن الحقيقى هو التوحيد .. كما أن مصدر الخوف هو : الشرك ..

وفى ذلك يقول عز وجل ﴿ **وحاجه قومه قال أتحاجونى فى الله وقد هدان ولا أخاف ماتشركون به إلا أن يشاء ربى شيئاً وسع ربى كل شئ علما أفلا تتذكرون . وكيف أخاف ما أشركتم ولاتخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾

سورة الأنعام « ٨٠-٨٢ » .

وكيف أخاف ؟!!

تعجيب من موقفهم : يخوفونه .. ممن لايخاف أبداً .. فى حال كونهم لايخافون أخوف مايخاف .

وكيف أخاف وجميع وجوه الخوف منتفية .. الحقيقة والمجازية.

وإذا أردت أن تعرف صدق هذه القاعدة .. وكيف كان الشرك من وراء التمزق والضياع.. كما أن التوحيد هو سبب الشمل الجميع .. فاقرأ قوله تعالى :

﴿ **ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلما لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لايعلمون** ﴾ الزمر « ٢٩ » .

فالشرك ممثل برجل .. يملكه أسياد لاسيد واحد .. ثم إن هؤلاء الشركاء .. كل واحد منهم شرس شراسة لاتقبل التفاهم .. فهم مختلفون .. عسرو الأخلاق ..

ثم هو بحكم « رجولته » يقاوم رغباتهم دون جدوى مما يعقد الموقف .. بينما الموحد فى سلام مع نفسه ومع سيده الفرد .. والذى هو سلم له .. وبينهما من الانسجام والوئام مايؤكد الثقة بينهما ..

تلك الثقة التى تستجلب الأمن السابغ بينهما .

وقد تسألنى أين هو الأمن الذى تتحدث عنه فى الوقت الذى لاينتهى دور الرسول حتى يظهر دينه علي الدين كله .. رغم أنف الأعداء وأقول : لقد أجاب علماؤنا بما يشفى الغليل هنا :

فقد وردت الآية التى تشير إلى إظهار الإسلام فى سورتى التوبة .. وسورة الصف .. قال عز وجل :

﴿ **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ﴾ التوبة « ٣٢ - ٣٣ »

وقال تعالى :

﴿ **يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون . هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ﴾

الصف «٨-٩»

فإرادة الإظهار مسبوقة .. بإرادة إطفاء نور الله .. وسلب حقنا فى الإيمان وفى نشره بين الناس .

والنور هنا هو الحق .. والحق الثابت لايطفأ بالأفواه كما يطفأ السراج

وكل محاولة لإطفائه مقضى عليها بالفشل .. إنهم يريدون الحياة **ظلاماً .. ليعيش اللصوص فى البيت فساداً .**

ونحن نظهر ذلك الحق .. نخرجه من الظلمات لنسعد البشرية التى يريدون حرمانها من نور الشمس .. ومن نارها !!

وقد يسأل سائل :

أليس من سمات المجتمع المسلم .. ماتشير إليه الآية الكريمة :

﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود.. ﴾

الفتح « ٢٩ »

وإذن : فهم فيما بينهم رحماء .. لكنهم غلاظ أشداء .. على غيرهم فأين هو الأمن الذى تزعم أن الإسلام جاء لرفع لوائه .

والجواب : ليس المراد بالشدة هنا : القتل .. وإنما هى الاعتزاز بالإسلام .. وإرادة الآخرين من أنفسنا قوة .. تفرض احترامنا عليهم .. حتى يفكروا قبل أن يعلنوا علينا الحرب .. وذلك مايشير إليه قوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولايخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾
المائدة « ٥٤ » .

ومما يدعم ذلك احتفاظ المشرك .. الوثنى بحقه فى الأمان وإن بقى على شركه :

يقول الله عز وجل :

﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ﴾ التوبة « ٦ »

فلم تقل الآية : وإن رجل .. وإن إنسان .. وإن أحد .. أىّ أحد .. فمهما كان وضعه فى السلم الاجتماعى أراد أن يتعرف على الإسلام فله ذلك الحق :

فإن آمن فبها .. وإلا فأبلغه مأمنه لم تقل الآية الكريمة .. أبلغه محافظته .. ولا مدينته .. وإنما أبلغه إلى حيث يكون آمنا !!

وثيقة عمر لأهل « إيلياء »

[بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ماأعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل « إيلياء » من الأمان .. أعطاهم لله أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم : سقيمها .. وبريئها وسائر ملتها .. أنه لاتسكن كنائسهم ولاتهدم ولاينقضى منها ولا من خيرها ولامن صليبهم ولامن شئ من أموالهم ولايكرهون على دينهم ولايضار أحد منهم ولايسكن بإلياء معهم أحد من اليهود .. وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص]

حق الجوار.. وجزاء سنمار!

« حزب الرب » فى دولة أجنبية يقتل أكثر من أربعمائة رجل من دولة مجاورة.. كانوا فى كنف الحزب !! هكذا .. وبلا سبب معقول ! وقلت :

لوكان « حزب الشيطان » مكان « حزب الرب » فهل كان يفعل أكثر من هذا أكثر من ذبح مئات من الأبرياء .. يساقون إلى المقصلة كالنعاج ؟! بلا نكير من أحد .. وبلا رجل رشيد واحد ينكر هذه المجزرة ؟!

لقد ذكرنى الموقف بما قاله الشاعر :

أشبهت أعدائى .. فصرت أحبهم ∴ إذا كان حظى منك .. حظى منهمو !!

ألا إنها كما قال « جارودى » حضارة الانتحار :

ففيها - رغم شبابها - جرثومة فنائها

مكونات المجتمع الإسلامى

للمجتمع الإسلامى عناصره المكونة له .. والتى تميزه عما يساكنه فى هذا الكون العريض وهى :

الحب . والرحمة . والعدل

وكما يقول العلماء : إنه الحب المطلق :

حب العقيدة التى تموت . . لتحيا . وحب الخير للغير..

والحب .. كعاطفةنبيلة ..والتى تجعل المسلم .. كما هو سعيد بأن يكون محبوبا .. فهو أسعد إذا كان محبا !

وآتأمل قوله وتعالى :

﴿ **ها أنتم أ ولاء تحبونهم ولا يحبونكم ..** ﴾ "آل عمران / ١١٩ "

ثم أذكر ما قاله العلماء هنا :

إنهم يقولون : إن العقاب فى الآية الكريمة ليس لأنهم يحبون أعداءهم..

ولكن لأن حبهم لهم .. من طرف واحد .. من حيث لايبادلونكم نفس الحب !

أى إنكم تلقون إليهم بالمودة .. بينما هم يتربصون بكم الدوائر ؟ !

إن التباغض ينسف جسور الثقة .. فيكون التربص .. فلاأمان .. فلا حركة .. لا حياة !

إن الحب .. فطرة المسلم

﴿ ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم .. ﴾ "آل عمران / ١١٩ "

جاء فى تفسير المنار :

فالقرآن ينطق بأفصح عبارة . وأصرحها . واصفا المسلمين بهذا الوصف الذى هو من أثر الإسلام وهو :

أنهم يحبون آشد الناس عداوة لهم .الذين لايقصرون فى إفساد أمرهم . وتمنى عنتهم .. على أن بغضاءهم لهم ظاهرة . وما خفى منها أكبر مما ظهر . أولئك المبغضون هم الذين قال الله فيهم . أو فى طائفة منهم .

﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود ﴾ المائدة / ٨٢

أليس حب المؤمنين لأولئك اليهود الغادرين الكائدين . وإقرار القرآن إياهم على ذلك لأنه أثر من آثار الاسلام فى نفوسهم .. هو أقوى البراهين على أن هذا الدين . دين حب . ورحمة . وتساهل ، وتسامح .. لايمكن أن يصوب العقل نظرة إلى أعلى منه فى ذلك ؟ بلى !

ولكن وجد فى الناس من ينكر عليه ذلك ويصفه بغيره زورا وبهتانا بل تعصبا خروا عليه صما وعميانا وهم الذين أبادوا فى بلادهم كل مخالف لدينهم

ألا (إن الانسان يكون فى التساهل والمحبه والرحمة لاخوانه البشر . على قدر تمسكه بالإيمان الصحيح . وقربه من الحق والصواب فيه)

عن قتادة . قال :

(فو الله إن المؤمن ليحب المنافق . ويأوى إليه . ويرحمه . ولو أن المنافق يقدر من المؤمن على ما يقدر عليه المؤمن منه .. لاباد خضراءه)

و المعنى الذى يؤكده " ابن جريح " بقوله :

المؤمن خير للمنافق .. من المنافق للمؤمن : يرحمه

(وبهذا يحتج على من يزعم أن ديننا يغرِ بنا ببعض المخالف لنا . كما نحتج على بعض الجاهلين منا بدينهم : الذين يطعنون ببعض علمائهم وفضلائهم لمخالفتهم إياهم فى مذاهبهم وآرائهم . أو فى ظنونهم وأهوائهم.

والذين سرت إليهم عدوى المتعصبين . فاستحلوا هضم حقوق المخالفين لهم فى الدين)

أما الرحمة : ففيها يقول عز وجل :

﴿ ورحمتى وسعت كل شئ .. ﴾

فمن تعرض لها .. ناله كفل منها

والعدل المطلق

في القول : ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا .. ﴾ .

وفى الوجدان : ﴿ اجتنبوا كثيرا من الظن ﴾.

وفى العمل : ﴿ ولايجرمنكم شنآن قوم على ألاتعدلوا ﴾.

وبهذه المكونات .. كان المجتمع الإسلامى آمنا .. مرشحا لتصدير الأمن إلى الآخرين :

يقول عز وجل :

﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم** ﴾ التوبه / ٧١

وقد تساءل العلماء [١] :

كيف قال الله تعالى (االمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) وقال بعده (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) وكلمه " مِنْ " أدل على المشابهة والمجانسة من حيث إنها تقتضى الجزئية والبعضية .. فكانت بالمؤمنين أولى وأحرى : لأنهم أشد تشابها وتجانسا فى الصفات والأخلاق ؟

قلنا :

المراد بقوله تعالى (بعضهم من بعض) أى : بعضهم على دين بعض أى : على عادتهم وأخلاقهم . بإضمار لفظة " الدين " أو "الخلق " ونحوه لأن " من " تأتى بمعنى على . ومنه قوله تعالى :

﴿ **ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا** ﴾ الانبياء / ٧٧

وقوله تعالى : ﴿ **للذين يؤلون من نسائهم** ﴾ البقرة / ٢٢٦

أى : يحلفون على عدم وطء نسائهم .

وهذا هو المعنى المراد فى قوله ﷺ (فمن رغب عن سنتى فليس منى)

والمراد بقوله تعالى : ﴿ **بعضهم أولياء بعض** ﴾ أى : أنصارهم وأعوانهم فى الدين .

وكل واحدة من العبارتين صالحة للفريقين : إلا إنه خص المنافقين بتلك العبارة تكذيبا لهم فى حلفهم السابق فى قوله تعالى ﴿ **ويحلفون بالله إنهم لمنكم** ﴾ وتقريرا لقوله تعالى ﴿ **وما هم منكم** ﴾

أمـا المنـافقـون

فهم على ما يقول الله عز رجل :

﴿ **المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون** ﴾

التوبه « ٦٧ » .

الأمـن فى السنـه المطهـرة

لأن الخوف يلتهم فضائل الحب .. فقد فصلت السنة المطهرة حق المسلم فى أن يعيش آمنا مطمئنا .. بقدر ما حذرت من تخويفه .. حتى بالنظرة المخيفة .. وبقدر ما نهت حتى عن مجرد الاشارة إليه بما يخيف .. يترتب عليه " خدشه " لاجرحه !

ومن يفعل ذلك فجزاؤه الوفاق عذاب اليم .. فالمسلم بحكم عهد الايمان مأمور بنشر الامان .. لأن تخويف الانسان .. وبخاصة المسلم إفساد فى الارض بعد إصلاحها ولكى يستمر الامن مستتبا .. نهى عن كل ما يذهب به ومن ذلك :

النهى عن التباغض والتقاطع والتدابر .

النهى عن سوء الظن :

- التجسس

- اظهار الشماتة بالمسلم

- الفسق والخداع

- المن بالعطية

- الافتخار

تناجى اثنين دون الثالث

الهجران فوق ثلاثة أيام .

تحريم احتقار المسلمين

تحريم الطعن فى الانساب

إن من حق المسلم على المسلم :

أن ينصره .. ويقاتل دونه .. لا أن يرهبه بالسلاح يحمله عليه .. إرادة قتاله أو قتله .. ومن يفعل .. فليس منا :

فهو معزول .. عن المجتمع وقد تواتر ت التوجيهات محذرة من ترويع المسلم :

رُوى عن عامر بن ربيعة رضى الله عنه :

أن رجلا أخذ نعل رجل فغيبها . وهو يمزح

فذكر ذلك ﷺ فقال ﷺ :

(لاتروعوا المسلم : فإن روعة المسلم ظلم عظيم) رواه البزار والطبرانى وابن حبان فى كتاب التوبيخ ،

والمؤمن مأمور ألا يشير إلى أخيه بالسلاح .. مجرد إشارة .. فضلا عن أن يؤذيه به :

روى مسلم :

(من أشار إلى أخيه بحديدة .. له فإن الملائكة تلعنه حتى ينزع . وإن كان أخاه لأبيه وأمه)   " ينزع " : يرمى

وفى تعليل ذلك ماجاء فى رواية أبى هريرة فى الحديث المتفق عليه : (فإنه لايدرى : لعل الشيطان ينزغ فى يده)

يعنى : يغريه .. يقلعه من يده فيصيب به الآخر .

ومهما كانت الإصابة المتوقعة طفيفة .. فإن الإسلام يحذر منها : فمعظم النار من مستصغر الشرر !

قال ﷺ : فيما رواه جابر رضى الله عنه : (أن رجلاً مر فى المسجد بأسهم قد بدا نصولها . فأمر أن يأخذ بنصولها .. لايخدش مسلما) البخارى / كتاب الفتن

والخدش أول الجراح ..

ثم (لايحل لمسلم أن يروع مسلماً) (١)

حتى ولو كان الترويع مجرد مزاح لايراد به الأذى .. (لايأخذن أحدكم متاع أخيه لاعباً ولاجاداً) (٢)

ومن المبالغة فى الاحتياط أن يكون الطرف الآخر أخاه الشقيق .. فإنه مع توفر حسن النية .. لكن الاحتياط واجب .. من حيث كان الإصابة متوقعة .

وعلى حامل السهام أن يمسك بها على النحو الذى يعرض حياة الآخرين للخطر .

ومما يؤكد ذلك :

ماروى عن جابر رضي الله عنه قال : [نهى رسول الله ﷺ أن يتعاطى السيف مسلولاً] رواه أبو داود والترمذى وقال : حديث حسن .

والواجب والحالة هذه أن يعطى السيف .. وهو فى غمده .. مأمون الخطر .

بل إن التحذير يظل قائماً .. حتى لو نظر إليه نظرة تخيفه .. [من نظر إلى مسلم نظرة يخيفه فيها بغير حق أخافه الله يوم القيامة] (٣)

---

(٣) رواه الطبرانى وفى رياض الصالحين/٤١٢٣ .

كل هذه التوجيهات النبوية .. تكشف عن روح الإسلام .. ولايقلل من أهميتها مايبدو من ضآلة هذه التصرفات .

فعسى أن يكون مانظنه هيناً .. سبيلاً إلى تحقيق أعظم مانرجوه وهو:

استتباب الأمن .. ثم تصديره إلى المجتمعات الأخرى لتنطلق الدعوة .. التى لاتزدهر فى جو الكراهية والتربص .

أما بعد :

فها هو ذا الطريق إلي السلام النفسى كما بينه الراسخون فى العلم .. والمتآثرون بمنهج الإسلام فى إنشاء معنى السلام فى كيان الإنسان :

قالوا :

إذا اردت أن تتجنب القلق فعش فى نطاق يومك ولا تقلق على المستقبل عش اليوم حتى يحين وقت النوم ، وعندما تهاجمك المشكلات فاسأل نفسك ماأسوأ الاحتمالات وهيئ نفسك ذهنياً لقبولها إذا لزم الأمر ، وحاول إنقاذ مايمكن إنقاذه ، وذكر نفسك على الدوام بالثمن الفادح الذى يتقاضاه القلق من صحتك ، واستخلص الحقائق وزنها بعناية ثم اتخذ قراراً ولاتتردد فى تنفيذه ولاتتهيب العواقب وعندما يساورك القلق على عملك فاسأل نفسك ماالمشكلة وماسببها وماالحل الممكن والأفضل ثم انشغل عن القلق بالاستغراق فى العمل ولاتهتم بالتوافه وقل فى نفسك ألا يحتمل ألا يحدث ماأقلق بشأنه على الإطلاق ، ارض بما ليس منه بد ، وضع حدا أقصى للقلق ولاتنشر النشارة !! وعمر ذهنك بخواطر الطمأنينة والشجاعة

والصحة وتجنب القصاص من الآخرين وسلم بالجحود ولاتتوقع الشكر من أحد ، وثق أن السعادة في البذل بلا مقابل واحص نعم الله عليك ولاتحاول التشبه بأحد واصنع من الليمونة الملحة شراباً سائغاً ، وانس نفسك وحاول أن توفر السعادة لغيرك ، واعلم أن النقد الظالم ينطوى غالباً على اطراء متنكر وركز مجهودك على العمل الذى تشعر من اعماقك أنه الصواب ، وصم اذنيك بعد ذلك عن لوم اللائمين ! ودون حماقاتك ولاتستنكف أن تطلب من الغير النقد النزيه واسترح قبل أن يدركك التعب ، وتعلم الاسترخاء وأن تخلى مكتبك إلا مما يخص المسألة التى بين يديك وابدأ بالأهم فالمهم ، واحسم مشاكلك فوراً وكن منظماً واركن للغير وضف إلى عملك مايزيد استمتاعك به وتذكر أن أحداً لم يمت أرقاً وانما القلق هو مبعث الخطر .

يعيش الطفل لوناً من التدليل .. والإحساس بأنه فى بؤرة الشعور .. وقد نفهم ذلك من قوله ﷺ لأخ لأنس رضي الله عنه صغير : يأأبا عمير .. مافعل النغير ؟

من فقه الموقف

كم من الأطفال البائسين .. نتجاوزهم عبر الطريق .. وفى المحافل .. دون أن نبتسم لهم .. أو نسألهم عما هم فيه من أحوال أو أهوال ؟

وإلى أى حد يحسون بالإحباط اليائس من الكبار الذين لايعيرونهم التفاتاً .. ولايحسون بهمومهم واهتماماتهم .. ثم كيف يكون حجم الخسارة حين تتجاهل الأمة مستقبلها متمثلاً فى هذا الجيل الصاعد الذي قد ينال حظه من الطعام .. ثم لاينال حقه من الوئام ؟!

ولكن الرسول ﷺ هنا .. فى زيارة لبيت خادمه « أنس » رضى الله عنه .. ماذا فعل ؟

إنه لايدخل البيت مستصحباً مشاعر السيادة والهيمنة .. وإنما هو : التودد والتواضع بهذه الملاطفة لأخ لخادمه « أنس » .. رآه مهموماً .. فسأله ملاطفاً عن حاله سؤالاً أحس الصبى معه بأنه كائن له وجود لم يغب فى الزحام وهاهو ذا الحاكم نفسه يؤكد هذا المعنى .. بهذا النداء الذى جاء على غاية مايكون الود والملاطفة والمداعبة .. فهو يدلله مرتين :

مرة بتصغيره : ياعمير .. ثم بتصغير لعبته : النغير !

وإذن .. فهو بالغ بالدعابة ذروتها إلى الحد الذى كان الصبى يبكى تعبيراً عن هذا الدلال ؟!!

ولكنه ﷺ - وفى نفس الوقت - يغذيه بعناصر الرجولة .. وذلك فى تكنيته «بأبى عمير » مع أنه مايزال صبياً لم يتزوج بعد !!

فليشعر من الآن بأنه رجل .. وله ذرية .. وعليه أن يعد نفسه ليتحمل من بعد مسئولية الرجولة !!

وقد مضى الفكر الإسلامى مستشعراً هذا المنهج المسالم .. الصارم فى نفس الوقت فآتى أكله بإذن ربه : كان الوالد يقول لولده وقد رآه يلعب .. العبوا قبل أن تبلغوا سن المروءة !

بل إن الصبيان .. وهم يلعبون عبر الطريق كانت تتخلق فى قلوبهم عزيمة الرجولة وعندما قال الوالد لولده :

تلعب مع من ؟!

بادره الولد بما أثلج صدره قائلاً : لاتقل هذا ياأبت .. ولكن قل : من يلعب معى!!

وهكذا تربى النشئ الذي تنامت شخصيته بين الفريضة والفضيلة .. بين فريضة الطاعة .. وفضيلة العزة .

أوصى والد ولده فقال :

[يابنى : إنى أرانى أنقص فى كل يوم .. والنقص مرقاة للفناء .. وإنك لتشتمل بعد ذلك على أمرى فتعمر منزلى .. وتتغنى بهديى وفي هذا الوقت تحتاج إلى مجاهدة الحاسد وإجحاف القاصد ورأى المعيب وإطراء المتملق وكذب المحروم]

وفى التنويه بمنهج التربية فى دولة شرقية يقولون :

إن الرجال فيها بغير طفولة .. بمعنى أن الصبى هناك يتحمل مسئولية الكدح فى بواكير حياته .. فلا يبقى له العمل متسعاً لممارسة حقه فى اللهو المباح .. واللعب البرئ .

ولكن الإسلام الحنيف له منهج آخر فى تربية الولد الذى يعده ليكون من بعد رجلاً صالحاً لأن يعيش الحياة !

لأن كل مايظهر سريعاً لايبقى طويلاً وقد قال الحكماء :

لابقاء للدولة العاجلة .

وقد سمعت أنه بأرض المشرق يعملون الكأس الصينية فى أربعين سنة .. ويعملون فى بغداد مائة كل يوم .. فلا جرم أن ترى قيمتها زهيدة .

إن الفرخ يخرج من البيضة .. ويطلب الرزق .. والطفل الآدمى لادراية له بالعقل والتمييز .

فذاك الذى صار شخصاً فجأة لم يصل إلى غاية .. وهذا جاوز كل شئ بالتمكين والفضيلة .

إن الزجاج بكل مكان .. ولذلك لاقدر له .. والجوهر الأحمر يحصل عليه بمشقة .. فهو عزيز لذلك .

فإن صبرت لها وقابلتها بحسن الروية وسداد التدبير .. قهقرت هذه الجماعة منك حسيرة مدحورة .

فى مجال التطبيق

وفى القرآن الكريم مايفيد حسم هذه القضية .. وذلك بعض مايفهم من قوله تعالى:

﴿ وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذنفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين .. ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً ﴾

الأنبياء (٧٨ - ٧٩)

والقضية هنا :

غنم قوم عاثت فساداً فى كرم قوم .. وكان من الممكن أن تقوم الحرب التى تأكل غنم الأولين .. وتبيد خضراء الآخرين .. إلى جانب من يسقط من الضحايا .

وفضاً للنزاع .. وسداً لذرائع الفتنة .. حكم داود عليه السلام :

تقدر قيمة الغنم .. بقيمة ماأفسدت من الكرم .

ولكن سليمان الابن يوفقه الله تعالى إلى الحل الذى يحقن دماء الفريقين فقال .

بل تسلم الغنم إلى صاحب الكرم .. الذى يكون من حقه أن ينتفع بلبنها .. ونسلها .. وصوفها ومنافعها الأخرى .

ثم يعمل صاحبها فى الكرم حتى يصلحه عائداً به إلى ماكان عليه .

وعندئذ : ترد الغنم إلى صاحبها والغنم أيضاً إلى صاحبها وهذا أرفق بهما

وقد آثنى الله تعالى على سليمان .. بصوابه وعذر داود باجتهاده .

ورحم الله القائل : لولا هذه الآية .. لرأيت القضاة قد هلكوا .. ولولاها أيضاً لهلكت الأمة التى قد تستسلم للانفعال .. وفى ثورة الغضب تقوم الحرب التى تأكل الأخضر واليابس .

وما كان أسعد داود عليه السلام .. بولده سليمان الذى أنقذ الله به الموقف .. قبل أن يتفجر ذلك الدم .

ومهما كان توفيق سليمان عليه السلام .. فإنه على أى حال راجع إلى حسن تربية أبيه .. الذى يجنى اليوم ثمن حكمته .

مايحدث اليوم

يسقط القتيل فى المعركة الخاسرة .. فتحتفظ الزوجة بالسلاح فى زاوية من زوايا الدار .

فإذا ولدت « ولى العهد » .. حبست أنفاسها ربع قرن من الزمان .. حتى يبلغ الابن أشده .

ثم تكلفه بقتل من قتل أباه !! منطلقة من وفاء غشوم .. وبر عقيم بزوج راح .. ثم هاهى ذى تضحى بفلذة كبدها وكبده .. انتماء من الأم الرءوم إلى هذا الوفاء الغشوم .

لقد سلمت ولدها للقضاء .. ليكون هو كبش الفداء فى جريمة ليس طرفاً فيها .. وإذا كان « المغتاب يأكل لحم أخيه ميتا .. بالكلمة الطائشة .. فكيف بمن قتله بالسلاح .. فكان كمن قتل الناس جميعا »

وقد تجعل من ذلك كله .. عنوان حبها للراحل الذى راح .

وكان عليها أن تحب من يحبه .. من يذكرها به ممتداً فى فراغ حياتها .. إنه خلاصتكما الباقية .. وثمرة الشركة الإيمانية .. لكنها تعجلت سقوط الثمرة .. التى استحالت « جمرة » تبدد الخضراء .

تمهيد :

هناك أحداث .. نراها وأحاديث نسمعها .. ولايبقى منها إلا الأعمق .. والأسبق والأخلق بالمدارسة .

ومن أهم الأحداث : حرب البسوس .. فما هى قصتها ؟

البسوس : اسم امرأة .. هى خالة « جساس بن مرة »

وكانت لها ناقة تسمى « سراب » فماذا فعلت « سراب » بالصحاب؟!

رآها « كليب وائل » فى حماه .. وقد كسرت بيض طير كان قد أجاره .. فرمى ضرعها بسهم .

فوثب جساس على ابن عمه « كليب » فقتله !!

فهاجت حرب ضروس بين بكر وتغلب ابنى وائل .. ويسببها نصف قرن من الزمان تقريباً .

حتى ضربت العرب بها المثل فى الشؤم وبها سميت « حرب البسوس» هذه الحرب التى نعرف بدايتها .. ولكننا لاندرك نهايتها .

وقد دفع الطرفان « فاتورة الحساب » معا .. لأن المعركة بين أبناء العم .. لاغالب فيها ولا مغلوب .

لأنها معركة مع النفس .. فهى منتهية حتماً بهزيمة الفريقين !

الثـــأر
المشكلة..والحـل

المنهج :

عـلاج الشـكلة بطريق غـير مبـاشر على طريقـة .. إياك أعنـى .. واسمعى ياجارة .. فلا نجعل المدعو طرفا فى القضية فنختار من مشاهد التاريخ نفس المشكلة .. ثم نجلس المدعو معنا ليشاهد ويتحسس الجرح فى رأسه .. ثم يحاول أن يعدل سلوكه .. بعد أن أعناه على ذلك .. فلم نهاجمه مباشرة .. ولكننا فقط أريناه نفسه على الشاشة ليحاكم هو نفسه بنفسه .

فكرة الثأر فى الإسلام « مرفوضة » وذلك بعض مايفهم من

﴿ **لئن بسطت إليَ يدك لتقتلنى ماأنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين** ﴾ المائدة «٢٨»

لقد غـالب الأخ نزعة الثأر فى نفسه .. فغلبها مؤثراً ماعند الله على الحياة .

ولقد تحدت هذه النزعة السلمية من الأسلاف إلى الأخلاف .. حتى سمعنا من يعزى والد القتيل فيقول له :

أحمد الله أن كنت والد القتيل ولم تكن والد القاتل !

من المدارسة .. إلى الممارسة

إن البحث الاكاديمى .. لايجدى كثيراً بمعنى استقصاء الأسباب .. ثم اقتراح الحلول .. لأنها من خلف الكاتب .. ولم تنزل إلى أرض الواقع .

إن الأكاديمى يرسم العمارة حبراً على الورق .. ولكن الدور الرئيسى للبناء الذي قد يتدخل فيعدل !

إنه الفرق الهائل بين المدارسة .. والممارسة .

مناقشة الثائرين

صحيح أن راعى الغنم الذى لايمسك عصا .. تعقره النعاج !

ومن لم يتذأب .. أكلته الذئاب .. وإذن فلابد من التسلح بالقوة حتى لايستباح حمانا .

بيد أننا أحياناً نتدافع بالمناكب فى سباق مجنون .. مدفوعين بالأهواء من أجل الحياة ولكننا ننسى أن نعيش الحياة بهذا الصراع الذى يطيح بالأرواح بلا حكمة .. وبلا روية .

وفى زمان .. صار فيه تشويه الحقائق علما .. وصار « للعادة » من القداسة ماليس للعبادة لابد من كلمة تقال .. تبصرة وذكرى .

انتصار لاطعم له

وقد تأخذنا نشوة الانتصار بعد أن تخلصنا من خصومنا .. وهم دمنا ولحمنا .

ولكن القاتل هو المقتول :

فالله تعالي يقول : ﴿ **ولاتلمزوا أنفسكم** ﴾

ويقول عز وجل : ﴿ **ولاتقتلوا أنفسكم** ﴾

فإذا رميت أصابنى سهمى ! ..

اشتم من شئت فإنما تشتم نفسك ..

واقتل من شئت فإنما تقتل نفسك !

وصدق الشاعر القائل :

مهجتى ضد يحاربنى		أنا .. منى .. كيف أحترس !

ثم ماذا فعل « جساس » بابن عمه « كليب » ؟

فعل معه .. مايفعله العدو فصار أمره على ماقال الشاعر :

أشبهت أعدائى فصرت أحبهم .·. إذ صار حظى منك حظى منهمو !!

إنه منطق الحكمة .. وليس منطق الحكمة .. إنه منطق القوة .. وليست قوة المنطق

لقد كان هذا الفتى هو الفرصة الأخيرة التى نستبقى به العش قائماً .. مفتح الأبواب .

وإذا كان ولابد من الرد على هذا البلاء الذى نزل بنا .. فليكن بحسن تربية أبنائنا لنغيظ بهم أعداءنا وذلك قول الحكيم :

وإذا بغى باغ عليك بجهله فاقتله بالمعروف .. لابالمنكر!

ألا وإن الحكمة قاضية بأن نتوقف أحياناً إذا دهمتنا الأحداث لنتفكر فيما حدث فربما كنا سبباً من أسباب هذا الذى حدث .

وإذن فلتتجه طاقة الغضب فينا إلى أنفسنا فلعلنا أن نفيق من سكرة التشفى ذاكرين أنه فوق التراب تختلف الرءوس تختلف أشكالاً .. وألواناً وأحجاماً .

ولكن بعد الموت كلهم سواء .. الجالس على العرش وصانع هذا العرش والواقف أمامه!!

ونخص الأم بالتحذير هنا .. تلك الأم التى تستفز .. وتحرص حتى يحمل الولد السلاح .. ثم يكون الدم المستباح ثم لاتلتئم الجراح .. بعد أن أشعلتها فى المراقد ناراً .

ألا وإن جراح الصغار أسرع التآماً .. فلنحاول أن نعينهم على يومهم لينطلقوا إلى الغد الواعد آملين عاملين .

وليس من الصحةالنفسية خضوع الفرد للأعراف الفاسدة .. التى تقلب الأمور رأساً على عقب ونقرأ فى ذلك قوله تعالى :

﴿ **ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون** ﴾ النمل « ٥٤ »

لقد جعلوا من الشذوذ قيمة ومن الطهر انحرافا ؟!

والذي يستجمع قواه .. ثم يرفض قيم هذه البيئة هو الصحيح نفسياً والكامل إيمانياً .. وسوف يرقى إلى أعلى مستويات الصحة النفسية .. بينما يتمرغ فى الوحل ذلك الذي اتبع هواه .. وتحكم فيه أبواء .. ولو كانوا لايعقلون شيئاً ولايهتدون .

أما بعـــد :

فعندما تنقسم العائلة الواحدة على اثنين .. عندما تشمت فيها أعداءها بهذا التمزق فلن تستطيع أن تحقق لنفسها أملاً .. لايتحقق إلا بالتعاون على البر والتقوى .

يقول الفارابى :

[إن كل إنسان إنما ينال من الكمال قسطاماً . وإن كان مايبلغه من ذلك القسط أزيد أو أنقص .. إذ جميع الكمالات ليس يمكن أن يبلغها وحده بانفراد دون معاونة أناس كثيرين له . وأن فطرة كل إنسان أن يكون مرتبطاً فيما ينبغى أن يسعى إليه بإنسان أو ناس غيره]

ويقول العلماء :

حقوق الله سبحانه وتعالى فى العقوبات هى : السرقة . والزنا . والقذف . وشرب الخمر . وقطع الطريق .

وحين تثبت على إنسان .. فلا يملك أحد مهما كان العفو عن الجانى فيها .. وهذا هو الحق الجنائى .

أما القصاص من القاتل .. فهو حق مدنى وليس حقاً جنائياً .. بمعنى أن صاحب الحق يملك التنازل عنه .. مع أنه أبشع وأوجع .. ومن قتل نفساً فكأنما قتل الناس جميعاً .

ذلك بأن الإسلام يضع حداً لمسلسل الدماء .. فكيف يتهم الإسلام بأنه دين العنف .. كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا .

الفصل الثالث

من أسلحة النصر

الوحدة الإسلامية

تمهيد

الاختلاف سنة كونية

﴿ **من آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين** ﴾ الروم «٢٢»

هناك من ينسب الخلق إلى الطبيعة والآية الكريمة رد عليهم :

فلو كان الأمر إلى الطبيعة لكان اللسان واحدا واللون واحداً .. ولكن الواقع شاهد بغير ذلك .. شاهد بالاختلاف وبخاصة فى صفات النطق وأحواله .. همساً وجهارة .. حدة ورخاوة .. لكنة وفصاحة .. إسهاباً ووجازة .

وفى قراءة « العالمين بفتح اللام » إيماء إلى أن ذلك من الوضوح بحيث لو نطق الجماد لأخبر بمعرفته .. ففيه إشارة إلى أنه عدو فلاتبكيت أوجع منه .

﴿ **ولو شاء ربك لجعل الناس أمة وحدة ولايزالون مختلفين إلا من رحم ربك** ﴾ هود «١١٨-١١٩» .

لجعلهم كلهم مصلحين متفقين على الإيمان فلا يهلكهم .. ولكنه لم يشأ ذلك بل شاء اختلافهم .. إلا من رحم ربك .. فهم لايختلفون فى أصول الحق ومع هذا الاختلاف .. فالتعايش ممكن ليتم التعارف .

﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** ﴾ الحجرات «١٣»

لسنا فقط أسرة واحدة بل من أصل واحد .

﴿ **يأأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء** ﴾ النساء «١»

الوحدة التى نريدها

يقولون :

إن الصاروخ إذا انطلق من قاعدة صلبة فإنه يصيب الهدف .. أما إذا انطلق من قاعدة رخوة فإنه فضلاً عن إخفاقه فى إصابة الهدف .. فإن الأنكى من ذلك : أنه يرتد إلى هذه القاعدة فيدمرها تدميرا .. وكذلك الوحدة الإسلامية بما ضمت عليه من عقيدة راسخة .. والتى كانت بها العقدة التى تجمع حولها الخيوط أى : الفروع المنبثقة من أصلها :

كلاهما يشد عضد الآخر .. على مايقول عز وجل :

﴿ **ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار** ﴾ الفتح « ٢٩ »

(أى : مثل زرع .. أخرج شطأه) أى : فراخه وورقه وماخرج حول أصوله فأحاط به الشطأ : فقواه وطهره .. وحاذاه وعاونه [١] .

وكذلك المؤمنون :

إنهم يكونون أول الأمر ضعافا .. ولكن لهم نمو إلي حد الكمال .. الذى يغيظ الله به الكفار .. ومرد هذا الغيظ إلى مايلى :

فالزرع نام .. قوى الخصوبة .. وهذا الورق الناشئ عنه .. ليس على حساب خصوبته .. مخصوماً منها .. ولكنه يشد الأصل ويقويه .

وهكذا : الوحدة الإسلامية التى تستمد قوتها من سلامة العقيدة وصلابتها .. والتى تجمع المسلمين على كلمة سواء .. وإن تناءت بهم الديار .. ومهما اختلفوا أجناسا وأوطانا .. وتغيرت أشكال الحكومات .

إنها وحدة جامعة .. مانعة :

تصون .. ولاتبدد .. تحمى .. ولاتهدد

---

(١) نظم الدر .

ومن أجل ذلك :

(لم يعتبر الإسلام فى تكوين الدولة : الجنسية ولاالعنصرية . ولاالتوطن فى بلد معين كما ألفته الأوضاع البشرية للدول . ولقد رأى أن فى ذلك تحديداً وتضييقاً ينافى عالميته وعمومه كدين سماوى . أريد به خير البشر جميعاً)

فسما عن جميع هذه الاعتبارات البدائية الشخصية .

ورفع درجة الجماعة الإنسانية عن أن يكون اتحادها وتعاونها راجعاً إلي غير المبادئ والمثل العليا .

ولقد صارت بهذا المعنى على ماأشار إليه الشيخ محمد أبو زهرة .. وكيف كانت بناءه إيجابية :

قال : إن الوحدة التى نبتغيها :

أ- لاتمس سلطان ذي سلطان .. يقوم بالحق والعدل فى المسلمين .

ب- ولاشكل الحكم فى الأقاليم الإسلامية :

فلكل إقليم أسلوب حكمه .. مادام يؤدى إلى إقامة الحق والعدل فيه .. ويحقق المعانى الإنسانية السامية .

ج- وإنما معنى الوحدة الإسلامية :

أن نعتبر أنفسنا متحدين بروابط وثيقة تمتد جذورها فى أعماق أنفسنا.

د- فالإسلام دين الوحدة الجامعة الشاملة .. كما هودين التوحيد الخالص[1]

ومن إيجابياتها أنها لاتنكر الانتماء إلى الوطن .. ولا إلى القومية .. بمعنى أنها لاتناقض ذلك الانتماء .. وإن كانت تشكل أفقاً أسمى منها.

القومية.. والإسلام

يقول د. أحمد أبو المجد :

أما القومية فواقع تاريخي .. وأما الإسلام فدعوة شاملة ونظام مستوعب للحياة .. ووضعهما جنباً إلي جنب .. والحديث عن تناقضهما أو توافقهما حديث لامعنى له أصلاً .. على أن هذا الضبط للمصطلحات ليس إلا مدخلنا للحديث .. إذ لابد من كلمة تقال .. فيما كتب ويكتب .. عن «القومية العربية » والإسلام .. وعن المواقف المختلفة التى اتخذها المفكرون والساسة المصلحون .. والتى لايزال الناس يصنفونهم - بسببها - إلى دعاة قوميين .. أو دعاة إسلاميين .

أولاً : ان دعاة القومية العربية فى عصرنا هذا لايرفعون دعوتهم القومية فى مواجهة الجامعة الإسلامية .. إذ الدعوة إلى هذه الجامعة الإسلامية لم تأخذ - بعد- مكانها كقوة مؤثرة وفعالة على مسرح السياسة المعاصرة .. وإنما يرفع القوميون دعوتهم فى وجه الدعوة إلى الاقليمية والانحصار داخل حدود الدول والكيانات العربية المجزءة .. باعتبار هذا الانحصار واقعاً سائداً وغالبا من حولنا .

فحركة القومية العربية - إذن - لايجوز أن ينظر إليها على أنها حركة تمزيق للوحدة الإسلامية .. إذ ليس ذلك من أهدافها عند الكثرة الغالبة من دعاتها ، وإنما الصحيح أن ينظر إليها علي أنها دعوة « توحد » وتجميع تعلو على الاقليمية وتحارب نوازع الانحياز الاقليمى الضيق وخصمها الاكبر هو الانحصار داخل الحدود الاقليمية ، وليس خصمها الإسلام ، بأى معيار من معايير الخصومة .

ثانياً : ان كثيراً من دعاة القومية العربية لايقفون عند حد الدفاع عن قضية « التوحد العربى » وإنما يدور حديثهم حول « العروبة » وتمجيد العرب .. ومع ذلك فإن الرؤية الدقيقة لملابسات هذا الموقف تكشف عن طبيعته الحقيقية .. فهو ليس موقفاً عنصريا يزعم تفوق « الجنس العربى » على سائر الأجناس ، وإلا كان بحق مناقضاً لما حرص الإسلام على تقريره ، من وحدة « النوع الانسانى » ورفض العصبية والعنصرية بكل صورها .

لقد كان هؤلاء الدعاة القوميون - تاريخها - فى موقف الدفاع عن العروبة والحضارة العربية فى مواجهة حملة ضارية تهدف إلى التقليل من شأن الأمة العربية واتهام العرب - عبر تاريخهم كله - بالعجز والخواء الحضارى ، للأمة العربية ، وهو - فى أكثر مكوناته وعناصره - محتوى إسلامى .. فالهجوم - إذن - كان هجوماً على الإسلام يستتر تحت شعار من الهجوم علي العروبة » والدفاع - بالضرورة - دفاع عن الإسلام ، وإن حمل - الآخر - شعارات العروبة .

إن من هذا القبيل مانشرته مجلة « تايم » الأمريكية بعد حرب عام ١٩٦٧م بعنوان « الأمة العربية المخدوعة فالعنوان هجوم على العروبة وليكن المحتوي - فى أكثره هجوم على الإسلام والحضارة الإسلامية .. والذى يتصدى للرد علي مثل هذا الهجوم لابد أن يمتزج فى رده حديث العروبة بحديث الإسلام .. دون أن يتهم - فى ولائه لأى منهما أو يتهم بالانحياز لواحد منهما دون الاخر .

مدخل

غير مجد فى ملتى واعتقادي أن نفصل القول فى أسباب تفرق المسلمين .. فذلك من الناحية العملية - لاثمرة له .

يقول الشيخ : « أبو زهرة » فى تعليل ذلك .. إن الظواهر الاجتماعية : نراها واضحة جلية .

ولكن : إن أردنا أن نعرف متى وجدت استعصي علينا الأمر : ولايكون البحث فيه هينا لينا .

كمن يرى شجرة عالية متدلية الأغصان :

(فإنه يراها عالية . شامخة : تهتز وتتمايل . ولكن لايعرف امتداد جذورها . وإن أحصى فروعها) [١] .

---

(١) الوحدة الإسلامية « ١٧٠ » .

الطريق إلى الوحدة

يقول الله عز وجل فى « سورة الأنبياء » :

﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** ﴾ « ٩٢ » .

ويقول سبحانه وتعالى فى « سورة المؤمنون » :

﴿ **وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون** ﴾ « ٥٢ »

ومن معانى ذلك :

أن تكون العبادة سبيلنا إلي توحيد الله عز وجل .. ثم إلي توحدنا جميعاً بها .. وإذا كانت آية « سورة المؤمنون » : تأمرنا بالتقوى .. فلأنها الجانب العملى من الإسلام .

والتى عن طريقها تبقي الأمة موحدة متوحدة .. بما ضمت عليه التقوى من قيم عليا من شأنها أن تجمع الأمة علي كلمة سواء :

فالمتقون كما تقول آية « سورة آل عمران » :

هم ﴿ **الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين والغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين** ﴾ «١٣٣ - ١٣٤ »

فملكة الإنفاق راسخة فى قلب المتقى :

إنفاق المال .. وإنفاق للخبرة .. إنفاق الكلمة الطيبة

ثم هم الذين يكظمون غيظهم فيطيعون الله تعالى فيمن عصي الله فيهم .. حتى يصلوا فى التسامح إلى حد العفو .. ونسيان ماحدث .. كأن شيئاً لم يكن !

وتلك ملامح مجتمع التقوي .. والذي تتخلق فيه الوحدة الجامعة :

أهمية العبادة :

والعبادة سبيل إلي تحقيق الوحدة .. يتبين ذلك بتأمل مقاصد العبادة فى الإسلام وكيف كان لها دورها فى توحيدنا :

توحيداً مادياً .. وتوحيداً معنوياً ..

وتأمل من حكم العبادات .. مايقنعك بأنها ماشرعت إلا :

لتعظيم الخالق .. والشفقة على المخلوق .. الشفقة عليه بما تدعو إليه وماتحض عليه من تعارف وتآلف :

فالصوم .. يستهدف إنشاء ملكة التقوى .. وماتثمره من تعاون وتحاب .. تتوحد به مشاعر الواجدين والفاقدين .

والزكاة : تصب فى نفس المعنى :

حين تختزل المسافة بين الغنى والفقير ..ليواجها الحياة معا .. وحين ينفق الواجد بروح الصداقة لابدافع التصدق تنكسر شوكة الغرور لديه .. بقدر ماترتفع معنويات الفقير .. الذى يأخذ « حقه » المعلوم « والذى لم يتركه الحق سبحانه تحت رحمة من يعطيه .. وهكذا بقية العبادات .. تؤدى دورها فى تعميق الثقة المتبادلة بين المسلمين .

ومايترتب على ذلك من تآلف .. هو أسمى مظهر للوحدة الجامعة المانعة .

حاجتنا إلى الوحدة

هناك مجموعة من الأسباب .. التى تجعل من وحدة المسلمين اليوم حاجة ملحة . نلخصها فيما يلى :

خصومنا يتحركون .. يتحركون لعلهم يجدون فرصة يشتتون بها شملنا .. ثم يعيثون فساداً فى حق نام صاحبه أو غاب صاحبه :

يقول الشيخ محمد الغزالى :

الخصوم القدامي أصلحوا ذات بينهم .. اجتمعت صفوفهم .. على أمل أن يجهزوا علي الإسلام فى محنته .. اتفقت اليهودية والنصرانية .. وانتهت عداوة عشرين قرناً .. ليواجه هؤلاء وأولئك الإسلام معاً .

واتفق الفاتيكان مع الكنيسة الشرقية التى ظل يحاربها ستة عشر قرناً .. ليواجه هؤلاء وأولئك الإسلام معاً .

واتفق الكاثوليك مع البروتستانت . وتنوسيت الخلافات . والمعارك الداخلية بين الفريقين .

وأمست المؤتمرات المسيحية تجمع بين الفريقين ليواجهوا الإسلام معا[1]

ولكن خصومنا لايتحركون على أرض مكشوفة وإنما اختاروا المؤتمرات سبيلاً إلى تحقيق أطماعهم .

(إن الإلحاد والانحلال فى هذه الأيام .. يشتعل ويسرى سريان النار فى يابس الحطب . وإن دعاته يستفحل أمرهم فى كل مكان .. والناس

١) أفضل أن يكون التعبير : اليهود والنصاري . فلاخصومة بين الإسلام وبين الديانتين .. ولكن الخصومة بيننا وبين المتعمدين .

مشغولون بالجدل والنقاش حول مايثيرونه من موضوعات يسترون بها مآربهم الهدامة من ورائها - تحت أسماء خلابة براقة :

كالنهضة والتحرر .. والتطور .. ومتابعة ركب الحياة :

يخترعونها .. ثم يهولون من شأنها حتى يلفتوا إليها أنظار الناس)[1]

ومن صور المكر السيئ الذى يستهدف ضرب وحدتنا فى الصميم .. تلك النابتة من الشباب الذين صنعوهم على أعينهم .

ثم بثوهم فى صفوفنا : عيونا لهم .. ورأس حربة يصوبونها إلينا .

وهذه النابتة لم تكن تملك إلا مجرد الحماس ..

أما اليوم .. فقد شبوا عن الطوق وصاروا يتربعون على مقاعد الرئاسة فى الدواوين فصارت لهم كلمة .. مما يفرض علينا مزيداً من الحذر .. بالاعتصام بالحبل المتين .

فلا عاصم من كيدهم إلا هذا الاستمساك بالعروة الوثقى ومن مسوغات الحذر أن الخصوم يوسعون دائرة إفسادهم . لقد كانت هيمنة الغرب علينا بالأمس : سياسة وعسكرية .

أما اليوم فهى :

صناعية واقتصادية وعلى إرادة الأمة أن تتوحد فى نهضة تستأنف بها أداء دورها التاريخى .

---

١) محمد الغزالى - الدعوة الإسلامية .

٢) محمد كامل حسين حصوننا مهددة ٨-٩ .

الوحدة فى مرآة القرآن الكريم والسنة المطهرة

أولاً : فى القرآن

يقول الحق عز وجل :

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾

آل عمران« ١٠٣ »

وهذا أمر بالاعتصام بحبل الله المتين

وفى الاعتصام من المعانى :

أ- الشد والضم

ب- والحفظ

جـ- والتلازم

لأن العاصم والمعصوم يتلازمان : فأيهما حصل .. حصل معه الآخر .. ونحن مطالبون بالاعتصام بحبل الله عز وجل .. لأنه .. العاصم من السقوط .. دون سواه .. لأن هذا الحبل طرفه فى يد الله .. فمن استمسك به .. أمن من الخوف .

ولايكفى أن يستعصم كل فرد بهذا الحبل المتين فلابد أن نكون «جميعاً » وعلى قلب رجل واحد .

ذلك بأن مشاغل الحياة ومشكلاتها .. وتعلق كل فرد بدنياه .. من شأنه أن يصيب العزيمة بالفتور .

وكان لابد من هذا الاجتماع الذى يشد من هذه العزائم .. لابد من اجتماع الخيوط حول قاعدتها .. فالأعمال الكبيرة لاتتم إلا بهذه الوحدة الجامعة المانعة .. على أن تظل هذه الوحدة سارية المفعول .. دائمة العطاء .. بالفرار من أسباب التفرق التى تجعل من فصائل الأمة جزراً متباعدة فى محيط هائل .. تذوب فيه الكيانات الصغيرة .. ولايقوى على السباحة على أثباج أمواجه إلا العابرات الضخمة .. الماضية على الأمواج الغاضبة .. لاتلوى على شئ !

ومما يعين على ذلك .. أن نكون دائماً على وعى بما أنعم به علينا ربنا من الوحدة بعد التفرق : وتلك هى النعمة الدنيوية : لقد كنا أعداء على غاية مايكون التنافر .. فمن الله علينا بنعمة « الألفة » بنعمة «الاستئلاف» الذى صرنا به إخوانا .. إنها إذن « الألفة » التى صيرنا الله تعالى بها : قلباً واحداً .. وإن اختلفت القوالب .

أما النعمة الأخروية فهى :

أن الحق تعالي « بهذه الوحدة » أنقذنا من النار بعد أن كنا منها قاب قوسين أو أدنى .

وتلك آياته عز وجل .. يبينها لنا .. إرادة هدايتنا .

وهى آيات مضافة إليه تعالى :

(آياته)

وذلك داع إلى ضرورة العمل بها .. فلا نذهب إلى العلا متفرقين وإنما مجتمعين معتصمين بهذه الوحدة من كيد المتربصين بنا .

فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية !

يقول صاحب الظلال :

والنص القرآني يعمد إلى مكمن المشاعر والروابط : القلب .. فلا يقول : وألف بينكم .. وإنما ينفذ إلى المكمن العميق : « فألف بين قلوبكم »

فيرسم القلوب حزمة مؤلفة متآلفة . بيد الله . وعلى عهده وميثاقه .

وذلك مايشير إليه قوله تعالي :

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله ﴾ [1]

وأما الكافرون .. فقد تدابروا .. حين عكسوا الآية .. فكانوا طرائق قددا .

﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم ﴾ [2]

﴿ ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لايعلمون ﴾ الزمر « ٢٩ » .

لاحظ أن الرجل قد اشترك في ملكيته مجموعة من الأسياد .. وهؤلاء الأسياد ليسوا بعقلاء .

وإنما هم على غاية مايكون التنازع والاختلاف .. ثم تصور وضع هذا العبد .. وإلي أى حد كانت نفسه شعاعاً .. وكان قلبه أوزاعاً لكم صدرت إليه الأوامر من كل واحد منهم .

---

١) سورة التوبة « ٧١ » .

٢) سورة التوبة « ٦٨ » .

وكيف تستولى عليه الحيرة .. لأن رضاءهم غاية لاتدرك :

يقول الرازى :

اضرب لقومك مثلاً .. وقل لهم : مايقولون فى رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع : كل واحد منهم يدعى أنه عبده : فهم يتجاذبونه فى حوائجهم .. وهو متحير فى أمره فكلما أرضى أحدهم غضب الباقون .

وإذا احتاج فى مهمة إليهم .. فكل واحد منهم يرده إلى الآخر .. فهو يبقي متحيراً .. لايعرف أيهم أولى بأن يطلب رضاه .. وأيهم يعينه فى حاجاته . فهو بهذا السبب فى عذاب دائم .. وتعب مقيم .

ورجل آخر :

له مخدوم واحد : يخدمه على سبيل الاخلاص وذلك المخدوم يعينه على مهماته .. فأى هذين العبدين أحسن حالاً .. وأحمد شأناً .

وإيثار لفظ « رجلاً » فيه من بينهم مافيه .. (فالذكر أقوى من الأنثى .. وأعرف بمواقع النفع والضر) وكان كونه « بالغاً » أعظم لقوته وأشد لشكيمته .. فيكون أنفى للعار عن نفسه . وأدفع للظلم عن جانبه[1] ويعنى ذلك توبيخهم أن رضوا لأنفسهم بما لايرضاه لنفسه أدنى كالأرقاء .. وهكذا : يظهر الضد حسن ضده .. على نحو يفرض على العاقل اختيار التوحيد .. ومايثمره من التوحد .. فراراً من هذه الصورة الكابية وإيثاراً للموقف اللائق بكرامة الإنسان ..

---

(١) نظم الدرر .

ولقد كان هناك تحذير خاص برسول الله ﷺ من دعاة الهزيمة .. والتفرق وذلك فى قوله تعالى :

﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شئ إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ﴾ الأنعام « ١٥٩ »

إن هؤلاء دعاة التفرق .. فليسوا منك ∴ ولست منهم :

لست من حسابهم ولا من عقابهم ولا من خلق الهداية فى قلوبهم فى شئ وفي هذا غاية الحث على الاجتماع ونهاية التوعد على الاقتران [١] ولقد كان التزامه ﷺ بالوحدة صارماً ..

وها هو ذا يحض الأمة على الوحدة واعداً متوعداً :

أما الوعد فهو قوله ﷺ (من أراد بحبوحة الجنة - أى من أراد أن يسكن وسطها - فليلزم الجماعة) [٢]

وقوله عليه الصلاة والسلام :

(يد الله مع الجماعة) [٣]

وأما الوعيد فقوله ﷺ (ومن شذ شذ فى النار)

أى : عزل فيها من أهل الجنة من أصحابه السابقين .

---

١) نظم الدرر.
٢) تحفة الأحوذى - كتاب الفتنة ٣٢١ .
٣) سنن الترمذى - كتاب الفتن ٢٥٦ .

ولقد وعت أمتنا هذه الدروس جيداً .. فكانوا عند حسن الظن بهم : موحدين .. متوحدين : فقد أطلع الله على قلوبهم من أنوار النبوة ماأعانهم على إيثار الحق .. ونبذ الهوى .. فلم تكن توجيهاته ﷺ حبراً على ورق .. ولكنها كانت فى سلوك الصحابة واقعاً :

تراه العين .. وتلمسه اليد .. ويسجله التاريخ .. الأمر الذى يفرض علينا أن نسير على دربهم .. فى زمان اتحد فيه اللصوص وحرام أن ينام حراس الحقل .. ليعبث فيه الذئاب فساداً .

محاذير على الطريق

ولكن المسلمين لايعيشون وحدهم .. بل هناك من بين أيديهم .. ومن خلفهم أعداء يقعدون لهم كل مرصد .. ويتربصون بهم الدوائر .. فى محاولات مكرورة لضرب وحدتهم ومن أجل ذلك تحذر الآيات الكريمة بعد ذلك من هؤلاء المتآمرين .. وذلك قوله تعالى :

﴿ **ياأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين** ﴾ آل عمران « ١٠٠ »

إن الوقوع فى شرك هؤلاء الأعداء - وفى طليعتهم اليهود - لايتصور .. مع وجود ضمانة النجاة منه وهو :

وجود الرسول ﷺ ثم هذه الآيات التى تتلى غضة طرية .. عاصمة من الزل .. وذلك قوله عز وجل :

﴿ **وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله** ﴾ ؟! آل عمران « ١٠١ »

ثانياً : الوحدة فى السنة المطهرة

فى تعبير كاشف عن الوحدة التى جمع الرسول القطيع الشارد عليها .. يصور الأديب معنى الوحدة بقوله :

لقد جمع ﷺ قلوب أصحابه فى إناء واحد هو : الاسلام .. ثم صب عليها من آى القرآن شراباً طهوراً .. ثم مزجها .. حتى إذا صارت قلباً واحداً .. ثم بدأ يوزع عليهم قلوبهم من جديد .. فعاشوا بقلب واحد ..وهذا هو سر انتصارهم !

جذور الوحدة

على أن معنى الوحدة ضارب الجذور فى الفكر الإسلامى .. وذلك ماتؤكده إنسانية الاسلام وعالميته .

والتى وإن قسمت البشر إلى : ضال .. ومعتد

فإنها تؤكد وحدة الإنسانية في أمور شتى : فالناس جميعاً .. خلقوا من ذكر وأنثى(١)

بل ومن نفس واحدة (٢)

وقد خلقوا عبر مراحل نصت عليه الآيات الكريمة (٣)

وكل الناس : : ﴿ **خلق من ضعف .. ثم كان من بعد ضعفه قوياً** ﴾(٤)

وكل إنسان خلقه الله تعالى : ﴿ **فى أحسن تقويم** ﴾ (٥)

وكل إنسان مصيره إلى الموت :﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾ (٦)

وإدراك هذا التشابه .. من شأنه أن يحرك داعية الإنسان إلى أن يمد يده إلى غيره فى محاولة للتقارب والتواصل .. الذى توفرت دواعيه .

فأما المؤمنون : فقد فعلوا ذلك .. فكانوا يدا واحدة :

(الإنسانية فى مرآة الإسلام)

وحدة .. لاتعرف الأقاليم ولاالأجناس ولاالألوان ... ومهما تناءت بالبشر الديار .. فكلهم لآدم وآدم من تراب : ﴿ **إنا خلقناكم من ذكر وأنثى** ﴾

---

١) سورة الحجرات « ١٣ » فالآية تدل على ذلك .
٢) سورة النساء « ١ » فالآية تدل على ذلك .
٣) سورة المؤمنون « ١٢-١٤ » فالآيات تدل على ذلك .
٤) سورة الروم « ٤٥ » .
٥) سورة التين « ٤ » .
٦) سورة آل عمران « ١٨٥ » .

من صور الوحدة

اخــى ﷺ بين المهاجرين والأنصار .. ثم امتدت هذه المؤاخاة فكانت مـايسـمى فى الفـقـه الإسـلامى بالموالاة .. بمعنى المؤاخـاة بين غـيـر العـربى والعربى .

وكـان أبو جنيـفة مـن موالى بنى تميم وقـد روى أن واحداً من بنى تميم الذين ينتمى إليهم أبو حنيفة قال للإمام يوماً :

أنت مولاى

فقال له الإمام معتزا بالله عز وجل : وأنا والله أشرف لك .. منك لى!

ولعله من المفيد أن نلفت الأنظار إلى ما أحدثته الفرقة من شتات فى صفوف الأمة والذي أتاح للأعداء فرصة استعبادنا . واستغلال مواردنا .

ماذا فعل الاسلام لتكون هذه الوحدة واقعاً ملموساً ؟

أ- مبادرة الاعتراف بالآخر إسلامية .

﴿ **قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سـواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئاً ولايتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا شهدوا بأنا مسلمون** ﴾ آل عمران « ٦٤ »

ثم :

أ- طعام واحد ب- والمصاهرة

﴿ **اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنت من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولامتخذى أخدان ومن يكفر بالإيمان فقط حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين** ﴾ المائدة « ٥ » .

حق المشرك فى حرية اختياره

يقول عز وجل :

أ- ﴿ **وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنه قوم لايعلمون** ﴾ التوبة « ٦ »

ب- ضبط الأعصاب .. ليظل ميزان العدل ثابتاً

﴿ **يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولايجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون** ﴾ المائدة « ٨ »

جـ- الأمل فى الوفاق :

﴿ **عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم** ﴾

﴿ **لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين** ﴾ المتحنة « ٧-٨ »

﴿ **إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون** ﴾ المتحنة« ٩ » .

﴿ **عسى الله أن يجعل** ﴾

لما أمر الله تعالى المؤمنين بعداوة الكفار شددوا فى عداوة آبائهم . وأبنائهم وجميع أقاربهم والبراءة منهم .

فأنزل الله تعالي قوله :

﴿ عسى **الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة** ﴾

وذلك : بميلهم إلى الإسلام ومخالطتهم مع أهل الإسلام ومناكحتهم إياهم .

ثم يقول :

والله تعالى قادر على تقليب القلوب . وتغيير الأحوال . وتسهيل أسباب المودة والله غفور رحيم بهم إذا تابوا وأسلموا وقيل : لاتهجروا كل الهجر فإن الله مطلع على الخفيات والسرائر .

د- موضوعية الاسلام فى الحكم على خصومه ﴿ **ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لايؤده إليك إلا مادمت عليه قائما** ﴾ آل عمران

وحدة الأصول

﴿ **إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلي نوح والنبيين من بعده** ﴾ النساء «١٦٣»

أهمية الشورى
فى تحقيق الوحدة الإسلامية

تمهيد :

مما يفهم من قوله تعالى :

﴿ **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين** ﴾ الزخرف « ٦ »

أن المتقين ليسوا مجرد أصدقاء .. أو زملاء .. ولكنهم أخلاء .. تخللت عاطفة الحب فى قلوبهم حتى سرت في العروق دما .. فكانوا كياناً واحداً .

ومن أجل ذلك تفردوا بهذه الخاصية .. التوحيد .. التوحد .

أما غير المتقين .. من الذين جمعتهم الدنيا وتفرقهم الدنيا .. فإذا النفعيون كل في طريق .. أما الأخلاء من المتقين فإن كيانهم واحد .. وهدفهم واحد .. فعلام يختلفون ؟!

فى الطريق إلى تحقيق الوحدة .

ولكن الوحدة لاتنشأ هكذا من فراغ .. بل لابد لها من مقومات تجعل منها واقعاً .. تراه العين ، وتلمسه اليد .. ويسجله التاريخ .

وفى طليعة هذه المقومات : الشورى .. والتى بها تمحص الآراء .. ليستقر أمر الأمة فى النهاية على مااجتمعت عليه كلمتها .

معنى الشورى

تدور الشورى على محور الحرية .. التى تتيح لكل فرد أن يبدى رأيه .. ومن مجموع تعريفاتها يتبين لنا أنها :

أخذ الرأى من الغير واستخراجه :

على مستوى الفرد .. وعلى مستوى الجماعة تطلب المشورة من الغير .. فيشير عليك بما فيه المصلحة .. والصواب .. وبعد هذا التشاور الجامع فى النهاية على كلمة سواء .. يستأنف المتشاورون حوارهم وصولاً إلى مدى صلاحية الرأى المختار للتطبيق .. ثم يكون الالتزام به نهاية المطاف .

مغزى الشورى

تعنى الشورى فيما تعنى :

اشتراك أكثر من عقل فى بحث القضية .. حتى تكون فى نقطة الضوء الكاشف عن وجه الصواب فيها بعد أن تعددت زوايا الرؤية .. ويترتب على ذلك :

أ- أن الفرد شريك فى صنع القرار .. فهو مسئول عنه مسئولية مباشرة وليس من حقه إلقاء اللوم على غيره فى أمر كان له فيه رأى مسموع .. ومايترتب على ذلك من ضرورة الدفاع عما استقر عليه رأى الجماعة .

ب- وخلال ذلك يحس الفرد المستشار بالعزة تتمشى فى دمه .. من حيث لم يكن كما مهملاً .. فإذا كان هذا الفرد هو الحاكم .. فإنه إذا وصل المؤتمرون إلي قرار فقد أمن تحمل المسئولية وحده ذلك بأن الأمة مشتركة معه فى صنع القرار .

فإذا كان صواباً .. فبها ونعمت .. وإن كانت الأخرى .. فلن يتحمل الحاكم وحده مسئولية ماحدث .

وعلي الذين يلومونه أن يلوموا أنفسهم أولاً .. بما قدمت عقولهم .. وعهدنا بطبيعة البشر أنه : من لم يؤخذ رأيه هانت عليه أمته .. التى لاتعترف به .. ثم أحس بالذل الذى يكون سبيلا إلى الاستسلام للأعداء .. عادلين كانوا أو ظالمين على حساب أمته التى لم يكن فى عينها .

ومن دلالة ذلك :

ارتباط الشورى بوحدة الأمة .. الأمة التى يكون للفرد فيها .. وجود مكثف .. يسهم به فى بناء أمته التى لايبخل عليها بنفسه وماله .. فى ساعة العسرة .

إن الإسلام يرفض فكرة ذوبان الفرد فى المجتمع .

ولكنه يرحب .. بل يخص على أن يكون له رأى محترم .. يصير به لبنة قوية .. فى البناء الكبير .

من سمات المستشار

إذا كان أمر المسلمين شورى .. مهما كان ذلك الأمر صغيراً أو كبيراً .. إلا إنهم وضعوا للمستشار شروطاً لابد منها .. كى تحقق الشورى ثمرتها فى توحيد الأمة فقالوا :

لابد أن يتوفر في المستشار مايلى :

١- عقل كامل . مع تجربة عملية .

٢- أن يكون المستشار تقياً .. على مايقول ابن عباس رضي الله عنهما : (من أدار أمراً فشاور فيه مسلماً وفقه الله لأرشد أموره)

٣- أن يكون ناصحاً ودوا .. فالود : يمحص الرأى ويخلصه من الهوى[١] وقد قالوا فى ذلك شعراً :

وماكل ذى لب بمؤتيك نصحه ... وماكل مؤت نصحه بلبيب

ولكن إذا ما استجمعنا عند صاحب فحق له من طلعة بنصيب .إنه لايمكن أن يحمل عبء الدعوة فى الحق والعزة والكرامة .. من أمات الظلم والتحكم نخوتهم وألفوا الخضوع المطلق للحاكم .. ورضوا بالحياة الدنيا .. والمنزل الهون : فإنه لايدعو إلى العزة .. إلا الأعزاء ولا إلى الكرمة إلا الكرماء ..[٢] .

---

١) راجع نضرة النعيم - ٢٤٢٧ .

٢) أبو زهرة ٢٤ - ٢٥ .

الشورى فى القرآن الكريم

لكى تستقر وحدة الأمة وتستمر .. يرسم القرآن الكريم الطريق إلى تحقيق هذا الهدف النبيل الجليل عن طريق :

أ- العبادة . ب- التقوى . جـ- الشورى .

وفى ذلك يقول سبحانه وتعالى :

﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** ﴾ المؤمنون « ٥٢ »

ويعنى ذلك :

أن الطاعة فى جانبيها النظرى والعملى هى : طريق الأمة إلي وحدتها التى بها تستمر وتستقر عصية علي أسباب التفرق .

وإذا كانت العبادة فى مفهومها هى :

أ- تعظيم الخالق ب- والشفقة على المخلوق

فقد وضح ذلك من قوله تعالى فى بيان خصائص الأنصار :

﴿ **والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ الشورى ٣٨

وإذا كانت الصلاة تعني : تعظيم الخالق .. وكانت الزكاة تعنى : الشفقة على المخلوق .. فإن ورود قيمة « الشورى » فى هذا السياق (بين الصلاة والزكاة) دليل على أهميتها .. من حيث بزوغها معهما من أفق واحد .

ثم إن ورودها واسطة العقد .. لدليل علي أن دورها خطير فى صياغة الأمة التى تظل صلاتها وزكاتها « مع إيقاف التنفيذ » حتى تأخذ الشورى وضعها المكين ..فى مجتمع الموحدين .. المتوحدين .. وهكذا كان الصحابة رضوان الله عليهم فى حياته ﷺ لقد كانوا يتشاورون فيه مشاورة عظيمة .. مبالغين مما لهم من قوة الباطن وصفائه فى الإخلاص والنصح .

العرض والإظهار

قوله تعالى ﴿ **بينهم** ﴾

أي بحيث إنه لافرق فى حالة المشاورة بين كبير منهم وصغير .. بل كل منهما يصغى إلى كلام الآخر .. وينظر فى صحته وسقمه : بتنزيله على أصول الشرع وفروعه .

فلايستبد أحد برأى .. لدوام اتهامه لرأيه لتحققه نقصه بما له من غزارة العلم وصفاء الفهم .

ولايعجلون فى شئ .. بل صار التأنى لهم خلقاً .. وكان ذلك الالتزام بالشورى .. صادراً عن يقين بأنها تساوى شعيرة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. والتى بها كانت أمتنا خير أمة أخرجت للناس تلك الشعيرة التى تشكل « رأياً عاماً » ينقد ويتابع ويحاسب أو يعاتب حتى تظل الأمة ماضية فى سبيلها .. على قلب رجل واحد .. آمنة من الانحراف .

كان ﷺ بسنته وسيرته خير معين على أخذ الناس بفضيلة الشورى .. والوقائع فى هذا الباب أعلى صوتاً .. مؤكدة إلى أى حد كان الإسلام هو الدين الوحيد الذى أعلى من قدر الشورى فى الحكم وفى غيره من القضايا.

ومن هذه الوقائع :

أ- مشورته ﷺ فى زواج «جليبيب »

ب- طلبه من عائشة مشاورة أبويها فى أمر عرضه عليها .

جـ- مشورته فى خصومة « الزبير » وجاره

د- استشارته أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فى أسارى بدر .

هـ- ثم استشارته لأصحابه يوم الحديبية .

ولقد كان ﷺ يشاور أصحابه .. فيما لم ينزل عليه فيه من وحى .. وكان فى بعض الأحيان يعدل عن رأيه مما يجعل من الشورى أصلاً .. أصيلاً لايجوز الترخص فيه .. ذلك بأن المؤيد بالوحى الأعلي ينزل على حكمه . فيكف بغيره من البشر ؟

وقد كان من رحمته تعالى أنه لم يحدد صورة الحكم وإنما ترك للشورى كلمتها فيما تسفر عنه من أوضاع وذلك يعنى جواز الاختلاف بين طوائف الأمة فى وجهات النظر .

شريطة أن يسير بهم فى الاتجاه الصحيح .. نختلف لنأتلف .

لقد (اختلف المسلمون الأوائل فى فهم نص من كتاب الله أو سنة رسوله .. ولكنهم مع هذا الخلاف كانوا متحدين فى المبادئ والغايات بل كانوا يدا واحدة على من سواهم)[1]

---

١) محمود شلتوت .

(والخلفاء .. على نفس الطريق)

عن ميمون بن مهران قال :

كان أبو بكر الصديق .. إذا ورد عليه أمر .. نظر فى كتاب الله . فإن وجد مايقضى به .. قضى بينهم وإن علمه من سنة رسول الله ﷺ قضى به .

وإن لم يعلم .. خرج فسأل المسلمين عن السنة .. فإن أعياه ذلك .. دعا رؤوس المسلمين وعلماءهم واستشارهم [1]

وكذلك كان الخلفاء من بعده .. حتى قال على رضى الله عنه :

نعم المؤازرة المشاورة .. وبئس الاستعداد الاستبداد .

بل بلغ الإيمان بالشورى حدا كان الخليفة إذا أخطأ لايجد غضاضة فى أن يعترف بخطئه .

وليس هذا فقط .. بل يسرع عائداً إلى ماظهر من الصواب .. وأصدق مايقال هنا هو ماأعلنه عمر رضي الله عنه :

« أصابت امرأة وأخطأ عمر »

١) فتح البارى ١٣ - ٣٥٤ .

قال الماوردى :

(اعلم أن من الحزم لكل ذى لب : ألا يبرم أمراً . ولايمضى عزماً إلا بمشورة ذى الرأى الناضج ومطالعة ذى العقل الراجح)

وذلك : لأن المشير ينبهه على مايغفل عنه ويدله على مالايستحضره من الدليل . لاليقلد المشير فيما يقوله . فإن الله لم يجعل هذا لأحد بعد رسول الله ﷺ [1] .

خطر الاستبداد على وحدة الأمة

وبتقرير قيمة الشورى .. يكون الإيلام قد حمى الأمة من الاستبداد المفرق للأمة .. والذى يدعى فى الحكم الاستبداد بالرأى .وفى التشريع :

يدعى احتكار الحق والاستئثار به .يقول الكواكبى :

المستبد عدو الحق ، وعدو الحرية وقاتلها : يود أن تكون رعيته بقراً تحلب . وكلاباً تتذلل وتتملق .. وعلى الرعية أن تدرك ذلك فتعرف مقامها منه وهو يسترهب الناس بالتعالى عليهم ويذلهم بالقوة والقهر وسلب الأموال حتى لايجدوا ملجأ إلا التزلف له وتملقه . ثم هو يخشى العلم والعلماء .

وترتب على ذلك : انحسار مجموعة من القيم التى تجتمع عليها الأمة.

فصغرت نفوس الناس ، وخفت صوتهم أضاعوا مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهو المبدأ الذى يراقب به أولو الأمر فى الأمة .

---

١) أدب الدين والدنيا ٢٦٠ .

الشورى أولاً :

الشورى أخيراً :

وإذ تملك أمتنا هذه القيمة العظيمة .. فلا حاجة بها إلى استجداء مالايغنى عنها وهو « الديمقراطية » .. إن بأيديها نورين : ذكراً وحكمة فلا يجمل بها أن تظل فى الظلمات .. إن من المؤسف حقاً أن يحاول بعضنا التباهي بشعارات خصومنا إلى الحد الذى قيل فيه : محمد نبى الديمقراطية .. منسوباً إليها .. وماهو إلا « نبى الشورى »

وقيل أيضاً الإسلام : أبو الديمقراطيات وما هو بأبيها .. ولابأخيها !!

وإنما هو رسول الإسلام المستغنى بمبادئه عن كل ماسواه .

وكان على هؤلاء المغرورين أن يدركوا أن الديمقراطية هى حكم الشعب .. ولكن لن يحكم الشعب إلا إذا كان قوياً .. وكيف يظل قوياً والحاكم المستبد جاثم على صدره مانع له من ممارسة حقه فى النقد والمتابعة ؟!!

خطورة الانبهار .. بشعارات الغرب

لقد ألف العقاد العبقريات وفى طليعتها « عبقرية محمد » ثم وجدنا بعد ذلك من يقول :

العبقرى هو : من ألف العبقريات ؟!!

بل إن العقاد نفسه قرر أن المستجمع لخصائص العبقرية هو : الفاروق عمر !!

ولكن .. إنه محمدا ﷺ ويكفيه هذا .. ودينه دين الشورى : فليس بحاجة إلى مايسد مسدها !

﴿ ماكان محمداً أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ الأحزاب « ٤٠ »

حتى لانقع فى الشرك المنصوب

إذا أردنا أن ننهض بأمتنا .. فلن يكون ذلك عن طريق غيرنا .. تقليداً وتمجيداً .. فالفرق هائل .. والشقة بعيدة :

على مايقول وحيد الدين خان[1]

إن نهضة الشعوب الأخرى هى .. أن تتقدم إلى أمام .. أما نحن : فإن نهضتنا هى أن نعود إلى الوراء .

أن ننضم إلى عصر النبوة الأغر ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله

---

١) المسلمون بين الماضي والحاضر «٤٨» .

من عجائب قدرة الله
فى أعداء الحق

من خلال سورة الفيل

يقول الله عز وجل :

﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم فى تضليل . وأرسل عليهم طيرا أبابيل .ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول ﴾

مدخل

فى سلسلة التربية القرآنية للأمه المؤمنة ينشئ القرآن الكريم فى وجدان المسلم المغالاة بالعقيدة التى يملكها .. فى مواجهة المدلين بالمال وبالرجال .. تلك العقيدة - وما تثمرة من مثل عليا - كي تكسر غرور الأعداء ..

وأن ما يحتازونه من عدة وعدد إلى زوال . لأن الظلم مرتعه وخيم .. بحيث يدرك المسلم أنه فى المواقع دائما ..

ومهما كانت قوة الاعداء - فإنها إلى زوال - ليتم توكله على الله تعالى .. وسورة "الفيل" معرض من هذه المعارض التى يستعلن فيها هذا المعنى .

تمهيد

فى سورة " الهمزة " - قبل هذه السورة مباشرة - حديث عن آصار المال الذى صار عند مالكة كنزا مدفونا يستمتع برؤيتة .. معلقا عليه أمله فى الخلود ثم كيف كان هذا المال نفسه سبيل خلوده فى نار موقدة تحطما ..

ثم تجئ سورة " الفيل" محذرة منذرة من عقبى التكاثر بالرجال .. بعد التحذير من عقبى التكاثر بالمال .. لما يترتب على الفتنه بالمال وبالرجال من وبال : فى الدنيا .. وفى الآخرة ..

قال الإمام أبو جعفر :

(لما تضمنت سورة " الهمزة " ذكر من اغتر بماله .. حتى ظن أنه سيخلده .. أتبع هذا " أصحاب الفيل " الذين غرهم تكاثرهم . وخدعهم امتدادهم فى البلاد .. حتى هموا بهدم البيت المكرم) .

ولقد كان المشركون يعرفون القصة . وقت نزول السورة الكريمة .. ويفرض عليهم ذلك :

التسليم بنعمة إنجائهم .. المستبع تخليهم عن غرورهم . ثم إعلان الاسلام . بعد هذا الحادث المستفيض الشهرة . العظيم الدلالة على رعاية الله تعالى لهذه الارض المباركة وأهلها ..

ويعنى التسليم : شكر هذه النعمة الجليلة شكرا يقيدها .. ليظلوا متفيين ظلالها وعلى الدوام .

مدى صحة الواقعة

يقول الرازى :

(ذكروا فى الزلازل . والرياح . والصواعق . وسائر الاشياء التى عذب الله تعالى الامم أعذار ضعيفة .

أما هذه الواقعة : فلا تجرى فيها تلك الاعذار :

لانها ليست فى شئ من الطبائع والحيل :

أ - أن يقبل طير معها حجارة .. ب - فتقصد قوما دون قوم .. فتقتلهم .

جـ - ولا يمكن أن يقال إنه كسائر الاحاديث الضعيفة : لأنه لم يكن بين عام الفيل ومبعث الرسول إلا نيف وأربعون سنه .

و - ويوم تلا الرسول هذه السورة .. كان قد بقى بمكة جمع شاهدوا تلك الواقعة ..

ولو كان النقل ضعيفا .. لشافهوه بالتكذيب .. فلما لم يكن كذلك .. علم أنه لا سبب للطعن فيه)

مجمل القصة

كان " أبرهة " ملك اليمن . من قبل النجاش : ومن خبره :

أنه بنى كنيسة بصنعاء وسماها : القليس

والى هنا والأمر عادى :

فهو مسئول وحده عن اختياره .. وهذا حقه ..

لكن : ليس من حقه أن يزاحم بها الاخرين

وهذا هو الذى حدث :

فقد كانت نيته معقودة على صرف الحجاج عن البيت الحرام .. إلى الكنيسة التى بناها ..

وكان من تدبير الله تعالى أن حرك الغيرة فى صدرور العرب .. حتى يهبوا الحماية مقدساتهم فخرج رجل من كنانة .. قبالى فيما بناء ..فغضب

واشتد غضبه لما أحرق نفرمن العرب، كنيسته .. فأقسم لينتقمن لشرفه : بهدم الكعبة .. فخرج ومعه جيشه ..

ومع الجيش ألف فيل .. يتقدمها أعظم الافيال ..

موقف عبد المطلب

وقد أتى " عبد المطلب " البيت . وأخذ بخلقته وهو يقول :

لاهم : إن المرء يمستع أهله . فامذع حلالك

لا يغلبن صليبهم ورماحهم أبدا ممالك

إن كنت تاركهم وكعبتنا .. فأمر ما بدالك

ثم أنشد :

يارب أرجولهم سواكا

يارب فامنع منهمو حماكا

إن عدو البيت من عاداكا

إنهم لن يقهروا قواكا

قال ابن إسحاق :

(كان عبد المطلب أوسم الناس . وأجملهم وأعظم .

فلما رآه أبرهة : أجله وأعظمه وأكرمه عن أن يجلسه تحته .

وكره أن يراه الجيش يجلس معه على سرير ملكه . فنزل أبرهه عن سريره . فجلس على بساطه . وأجلسه معه إلى جانبه .

ثم قال لتر حاجتنا : قل له : ما حاجتك ؟

فقال : حاجتى أن يرد الملك مائى بعير أصابها لى .

فلما قال ذلك . قال ابرهه لتر حاجته : قل له : لقد كنت أعجبنى حين رأيتك .. ثم زهدت فيك حين كلمتنى .

أتكلمنى فى مائتى بعير أصبتهالك . وتترك دينا هو :

دينك . ودين آبائك .. وبيتا قد جئت لهدمه .. ألا تكلمنى فيه ؟!

قال له عبد المطلب :

إنى أنا رب الابل ..

وأن للبيت ربا سيمنعه !

قال أبرهه :-

ما كان ليمتنع منى

قال : أنت وذاك .

فرد عليه إبله .

ومن حكمة عبد المطلب :

علم عبد المطلب أنه لا قبل له بالجيش المهاجم فقرر أن يحقن الدماء .. فعرض على أبرهة ثلث أموال تهامة .. ثمنا لرجوعه ..

ولكن أبرهه ركب رأسه .. ورفض العرض السخى

وقيل :

كان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما .. ولما جاء " أبرهه " قيل له :

هذا عبد المطلب :

سيد قريش .. وصاحب عيرقلة الذى يطعم الناس .. فى السهل .. ويطعم الوحوش فى رءوس الجبال .. وقد حمى الله البيت فعلا :

لقد كان الفيل الاكبر أزكى من سيده أبرهه :

كانوا كلما وجهوه إلى الحرم .. برك ولم يبرح .

وإذا وجهوه إلى اليمن . أو إلى غيره من الجهات .. هرول ..

ثم عزز ذلك سبحانه بأن أرسل عليهم طيرا :

سودا ..

ومع كل طائر : حجر فى منقار .. وحجران فى رجلبه : أكبر من العدسة . وأصغر من الحمصة

(ألم تر)

لمن الخطاب ؟

الخطاب للرسول ﷺ

وينشأعن ذلك سؤال يطرح نفسه هو : كيف يقال له : ألم تر .. وهو لم ير .. ؟

والجواب :

(إذا لم يكن قد شهد تلك الواقعة .. فقد :

أ - شاهدآثارها

ب - وسمع بالتواتر أخبارها .. فكأنه رآها)

ومجئ الخطاب استفها ما تقريريا .. يجعل من الخبر أمرا مفروغا من صحته .. التى لانقاش فيها .

معنى الـرؤية

في " ألم تر "

ألم تعلم علما قويا .. ضروريا .. يساوى فى الجلاء والقوة : الرؤية البصرية .

وهو تحقيقه : كالحاضر المحسوس بالعين المجردة .

وإذ يقول سبحانه فى آية أخرى :

﴿ ألم تعلم أن الله على كل شيئ قدير ﴾

ولم يقل " ألم تر "

وقد أجاب المفسرون :

الفـرق واضح بن مـا لا يتـصـور إدراته . ومنـه قـدرة اللـه .. وذلك يستعمل فيه " العلم " أما الذى يتصور إدراكه وهو : فرار الفيل فإنه يجوز أن يستعمل فيه الرؤية

ما الذى رآه ﷺ

يقول عز وجل :

(ألم تر كيف فعل ربك)

كانت هذه الواقعة دليلا على أمرين :

أولا : على قدرة الصانع . وعلمة وحكمته .

ثانيا : على شرف محمد ﷺ وهذا مذهب من يقول :

يجوز تقـديم المعـجـزات على زمـان البـعـثـة . تأسيسـا لنبـوة النبى وإرهاصا لها .

ولذلك قالوا :

" كانت الغمامة تظله "

والسؤال الذى يطرح نفسه هو :

كيف كانت هذه القصة دالة على ذلك ؟

والجواب - كما يقرر الرازى :

(أن كل شيئ له ذات .. وله كذلك صفات .. أو كيفيات ..

(وهذه الكيفية هى التى يسميها المتكلمون :

وجه الدليل

(واستحقاق المدح . إنما يحصل برؤية هذه الكيفيات . لا برؤية الذوات ولهذا قال عز وجل :-

﴿ أفلم ينظروا إلى السماء كيف بنيناها ﴾

فالمطلوب هو النظر إلى كيفية البناء . كيف كانت بلا عمد نراها ..

ولا يكفى النظر إلى ذواتها ..

ومثل ذلك قوله تعالى :

﴿ أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت ﴾

كيف يراها الله تعالى .. وسوى خلقها من مجموع ما تأكله وما تشربه - حتى صار ت هكذا سفنا للصحراء كيف يراها الله تعالى ..

ألم تر ما فعل ربك .. تركيزا على الذات .

وإنما قال سبحانه : كيف خلقت ..

لأن هذه الكيفية هى مناط الإعجاز .. ومحط الاعتبار .. لمن أراد أن يذكرأو أراد شكورا .

(إن الناظر إلى الكيفية له من التدقيق . والوقوف على التحقيق فى وجوه الدلالات على كمال علم الله وقدرته . وإعزاز نبيه ماليس للناظر إلى مطلق الفعل)[1] ثم إن المراد بالقصة هو :

(التذكير بما فيها من وجوه الدلاله على كمال علم الله تعالى : وقدرته وعزة بيته .. وشرف رسوله عليه الصلاة والسلام)

الثقة الكاملة بالفاعل سبحانه

يقول المفسرون :

(كيف فعل ربك) : وكأنما يقول سبحانه له فيجب إن تطرح قوانينك .. لأن ربك هو الذى فعل .. وليست قوانينك هى الفاعلة . بل يجب أن تطرح قوانينك .. وتلغى عقلك .. فقد انتهت المسألة . وإلغاء عقلك : ثقة بمن قال .. ما إذا تحملها عقلى ألم لم يتحملها .

لأن الايمان يتحمل كل شيئ . ولذلك قال بعض العارفين : العقل : كالمطية : يوصلك إلى باب السلطان ولكن لايدخل معك عليه .

---

١ - " نظم الدار "

إيناس الرسـول

(فعل ربك)

لم يقل عز وجل : الرب ..

كأنه تعالى قال :

لقد شاهدوا الواقعة .. شهادة عيان .. ثم لم يتركوا عبادة الأوثان..

وأنت لم تشاهدها .. ومع ذلك فقد اعترفت وأطعت ربك ..

ربك الذى هو .. لك .. بما أطعت .. وعليهم .. بما فجروا

(ثم إن الرسول : الذى هو الدر . همزه " الوليد " ولمزه .. حتى ضاق قلبه .. فكأنه تعالى :

(إن الملك العظيم .. لما طعن فى المسجد هزمته وأثنيته ..

فمن طعن فيك - وأن المقصود من الكل - ألا أفنيه وأعدمه) ؟![1]

انسانية الحيوان

" اصحاب الفيل "

لم يقل " ملاك " الفيل ولا " أربابه " لماذا ؟

يجيب الرازى بما ملخصه :

هذا يدل على أن أولئك القوم كانوا من جنس الفيل :

فى البهيمية وعدم الفهم

بل إنهم لأقل فى ذلك رتبة من الفيل :

لأنه إذا حصلت المصاحبة بين شخصين يقال للأدون : إنه صاحب الأعلى . ولا يقال للأعلى إنه صاحب الأدون . فدل ذلك على أنهم أحط من الفيل .. بدليل :

أن الفيل كان يتوقف كلما وجهوه إلى الكعبة .. فكأنما كان لسان حاله يقول : لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق) !؟

الخطة الفاشلة

(ألم يجعل كيدهم فى تضليل)

بلى .. جعل كيدهم وهو :

أ - بناء الكنيسة عندهم ليصرفوا الحجاج إليها .

ب - ثم إرادة هدم البيت .

فضلل الله عز وجل كيدهم :

بإحراق البيت عندهم ثم بإرسال الطير عليهم

ولا حظ أن الكيد " فى تضليل "

فهو محيط به .. لا يخرج أبدا ..

ولا نجاه لهم من هذا الكهف المظلم الذى أحاط بهم سرادقه .

معنى الكيد

الكيد يكون خفية ..وهذا " أبرهة " كان يعلن متحديا ..

وذلك وإن كان شرا ..

لكن .. كان ما يضمره فى قلبه من الحقد على العرب .. أشر مما أظهره وكان من عقابه عز وجل للمعتمدين :

أ - أن دمرهم .

ب - وعظم شأن الكعبة المشرفة .

الطيور تحارب العدو

(.. وأرسل عليهم طيرا ..)

ونتساءل لم نكر طيرا ؟

والجواب :

إن كان للتعظم .. فهو تفخيم للعذاب .. ولأمر الطير أى طير : ترمى بحجارة صغيرة فلا تخطئ المقتل أو هو للتحقير :

للدلالة على عظمة القدرة :

فإنه مهما كان أحقر .. كان صنع الله تعالى : أعجب وأكبر .. وأقهر! ولقد كانت الطيور :

" أبابيل "

جماعات متضامة ..

والابابيل : لا واحدلها من لفظها وذلك يعنى إنها كتيبة فى جيش واحد .. وأنها من قوة توحدها .. شيئ واحد .. غير قابل للاختراق ..

ثم إنها لم حجهم دفعة واحدة .. ولكن فرقة بعد فرقة .. تماما كما يحدث فى الجيوش النظاميه على مايقول سبحانه فىّ " سورة يس - ١٤"
﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون ﴾

من أسلحة الدمار الشامل

إنها " حجارة " من طين مطبوخ . كما يطبخ الآجر :

يطبخ حتى يتحجر :

وكان قويا بحيث يحرق الجسم بماله من الحرارة ثم يترك مامر به أسود .. بماله من النارية .

ترميهم بها الطيور فى مقاتلهم .. فلا تخطئهم .

وهو الديوان الذى كتب فيه عذاب الكفار : فهى من جملة العذاب المدون المكتوب ..

مصنع هذه القنابل :

إذ يقول سبحانه :

(كلا إن كتاب الفجار لفى سجين)(١)

فيعنى أنك هذه الحجارة النارية قد صنعت فى " سجين " .

إنها مصنوعة فى جهنم .. تشق منها حرارتها وناريتها

١ - أبدلت اللام - فى سجيل نونا . والسجين : النار

هوان الطغاة

لقد كانت الطير " أبابيل " فرقا - متضامة فوجا .. وراء فوج .. كما قلنا. أمام كل فرقة : طير يقودها :

أحمر المنقار ..

أسود الرأس

طويل العنق

وقد اختارلهم سبحانه من الخلائق ما لا تقل مثله فى العادة : عظيم فى الكثرة والفعل .. صغير فى المقدار والحجم تهوينا من شأن : أبرهة المدل بعدته وعدده فالذين يعمون أنفسهم .. لا يعذبهم الحكيم .. بشيئ عظيم ..

وإنما شئ ضيئل هزيل ..

وهكذا صارت الطيور جيشا !!

وذهب أعداء الحياة

{ فجعلهم كعصف مأكول }

(شبهوا بورق الزرع إذا أكل : أى وقع فيه الاكال .. وهو أن يأكله الدور .أو شبهوا " بالتبن " أكله الدواب وراثته ..

فصاروا من خفة الوزن والشأن كهذا الزرع الذى يبقى فى الارض بعد الحصاد .. ثم تعصفه الرياح ..

وتأكل المواشى

وإذا كان مأكولا .. فقد انتهى وجوده ولا رجعة له إلى الدنيا ولا حظ أن الماشية تأكل الورق ثم تخرجه روثا ..

وفى هذا دليل على تفاهتهم وخستهم .

ولقد كان على كل حجر اسم من يقع عليه .

فكان الحجر يقع على رأس الرجل . فيخرج من دبره ففروا .. فهلكوا فى كل طريق)

وصاروا فى سرعة هلاكهم

ومادة العصف شاهدة بأن هلاكهم لم يستغرق وقتا .

من مفارقات القدر .

مما أشاء إليه صاحب " أضواء البيان " كان جيش أبرهة نصرانيا .. وجنوده : أهل دين وكتاب .

وكان أهل مكه وثنيين .. لا دين لهم ولكن الله تعالى أهلك النصارى .. أصحاب الدين ولم يسلطهم على الوثنيين .. لان النصارى عندئذ كانوا ظالمين .. والظلم مرتعه وخيم ..

بل بلغوا فى الظلم منتهاه :

لأنهم أخافوا الناس .. حول البيت .. ثم لم يكتفوا بذلك .. بل أرادوا هدم منبع الأمن نفسه . وهو البيت الذى جعله الله للناس مثابة وأمنا .. جعله حرما آمنا : للناس : كل الناس !

كرامة الانسان

سلط الله العذاب الأليم من قصد تخريب الكعبه .. مع أن كفار قريش ملأوها بالأوثان ..

فأى الفريقين أولى بهذا العذاب ؟

يقول الرازى :

(لأن وضع الاوثان فيها : تعد على حق الله تعالى ..

وتخريبها : تعد على حق الخلق .

ونظيره :

قاطع الطريق . والباغى . والقاتل : إنهم يقتلون .. مع أنهم مسلمون ولا يقتل الشيخ الكبير والأعمى . وصاحب الصومعة والمرأة . وإن كانوا كفارا .. لأنه لا يتعدى حذرهم إلى الخلق) .

دروس للدعاة من السورة الكريمة

كل من تعرض لشيئ من حرمات الله عز وجل - كبيت من بيوته أو ولى من أوليائه .. أوعالم من علماء الدين - وإن كان مقصرا نوع تقصير - أهلكه الله تعالى . وعاد عليه وبال شره .

ب - وأن من جاهر بالمعصية أسرع إليه الهلاك بخلاف من تستر .

جـ - وأن الله تعالى يأتى من يريد عذابه من حيث لا يحتسب . ليدوم الحذر منه ..ولا يأمن مكر الله . ولو كان الخصم أقل عبادة .

فلم يكن يخطر للجيش ما وقع لهم أصلا ولا خطر لاحد سواهم أن طيور تقتل جيشا دوخ الابطال . ودامت له الرجال . يقوده : ملك جبار : كيتبته فى السهل : تمشى ورجله على القاذفات فى رءوس المناقب)(١)

أن الله تعالى ينصر العرب على أعدائهم مهما كانت قوة هؤلاء الاعداء ما توكلوا عليه .. وفوضوا أمرهم إليه .

إن الله عز وجل هو الذى يحمى بيته ولم يحمه المشركون .. حتى لا تكون لاحد منه .. فالمنه لله سبحانه وحده .

أن الطغاة على مدار التاريخ .. قد يطمعهم فى أعدائهم ما يرون من ضعفهم ولكن الله تعالى يخيب ظنهم ..

فينصر المستضعفين .. وإن لم تكن لهم دولة ولم يكن لهم جيش

---

١ - نظم الدر

أن الحسد مرتعه وخيم :

فمما شجع أبرهة على بناء الكنيسة مارآه من شدة تعلق رعيته فى اليمن بالبيت الحرام وما يدل عليه من إحراج له

تعرض لأبرهة فى الطريق رجال من أشراف اليمن .. لكنهم هزموا والبعض - رعبا منه - بعثوا معه من يدله على الكعبه ..

وهكذا تختلف ردود الفعل فى كل زمان ومكان

وهكذا أيضا : يكون للمبادرات الفردية أثرها فى كسر شوكة العدوان .. فقد فرضت هذه المقاومة العربية عليه أن يتنازل إلى حد ما عن غروره وذلك عندما أرسل رسولا إلى سيد البلد يستعطفه .. ويبلغه أنه ما جاء يريد حربا .. ولكن .. فقط : لهدم البيت

كان لوحدة العرب فى وجه الغزاة أثرها الفعال ..

هذه الوحدة التى لا ينشئها إلا الاسلام الذى وحد العرب ..

وبغير الاسلام .. لاوزن لهم فليحذر الذين يخالفون عن أمره قد يدل الظالم زهوا بعدته وعدده .. على المظلوم الذى لا يستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلا ..

ولكن يوم المظلوم على الظالم .. سوف يكون أشد وأطول من يوم الظالم على المظلوم ..

وما يعلم جنود ربك إلا هو

وسوف تكون هذه الجنود فى حنفنا إذا ما أطعنا سيدها وسيدنا سبحانه وتعالى .

الفصل الرابع

من سماحة الإسلام

المسلم بين فريضة العدل وفضيلة العفو

السماحة

تمهيد:

السماحة : دعاء الندى : يغرف منه ذو الحاجة .. لايرتد صاحبها عابساً ولايفاخر بها ناجراً [1].

وهي ليست شهادة تطلب . ولاجاها يحتسب . ولاإرثاً يكتسب .

لكنها هبة الخالق تعاى . فى نفوس يتجلى عطاؤها . بما عرف عن هذه السمة من مناقب :

تسير فى ركاب صاحبها .. أينما وحيثما ارتحل .

لا يعيقه عنها : كآبة منظر . أو ضيق ذات يد . فهى منه دائماً :

بشاشة يبرزها ويد يبسطها .. فيالها من منقبة : تزرع البسمة فى كل ثغر [2] .

وهكذا الكريم السمح العفو : يلين .. إذا استعطف واللئيم يقسو إذا ألطف والكريم يجل الكرام . ولايهن اللئام ولايؤذي العاقل ولايمازح الأحمق ولايعاشر الفاجر .. مؤثراً إخوانه على نفسه بإذلالهم مامله .

محمود الأثر فى الدنيا .. يحبه القريب والقاصى .. ويألفه المتسخط والراضى يفارقه اللئام ويصحبه الكرام !!

---

(١) (النجر والنجار: الأصل والحسب)

(٢) بفتح الثاء فى : المنعم / وفيما خيف عليه من الثغور . تلمه

من معانى السماحة « العفو »

المساهلة .. بمعنى : الموافقة على مايراد منك ومنه :

سامحنى .. أى : وافقنى على مطلوبى .

ومن معانيها : الاتساع .. بمعنى : اتساع الصدر بقبول وجهة النظر المخالفة .

ويقال : فى الحق مسمح أى : متسع ومندوحة عن الباطل .

ومنها : البساطة .. والوضوح بلا تعقيد ومنه عود سمح .

ومن معانيها السرعة .

جذور السماحة :

عندما لايكون إيمان .. فإنه لاقيمة حتى للعفو الذي يكون عندئذ كالمرأة الحسناء في المنبت السوء .

ومن ذلك ماهو من مقررات الحياة فى بلاد لاتدين بالإسلام :

اغفر لعدوك .. نكاية فيه !

ثم يقولون للمرأة المطلقة هناك :

حتى يذهب حبيبك السابق من مخيلتك : أمسكى قلما .. وسطرى كل عيوبه .. ثم حدثى زميلاتك بتلك العيوب .. وبذلك تندمل الجراح!

لكننا فى الإسلام نؤمن بقوله تعالى :

﴿ **إن يتفرقا يغن الله كلا من سعته** ﴾

وتأمل قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام :

﴿ **فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم** ﴾

إنه لم يطلب تحطيم خصمه .. ولكنه يرجو أن يكون مثله قانتاً لله حنيفاً .. وتلك هى سماحة الإسلام .

من توجيهات القرآن :

يقول عز وجل :

﴿ لايحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعاً عليماً .إن تبدو خيراً أو تخفوه أو تعفو عن سوء فإن الله كان عفواً قديراً ﴾النساء «٤٨ - ٤٩ » .

إن الله عز وجل خلق الأرض صالحة للعيش فيها .. وواجبنا أن نحافظ على هذه الأمانة لنحتفظ بمعنى الصلاح فيها .

وهذا هو الذى يحبه خالقها سبحانه .. ومن أجل ذلك قال تعالى:

﴿ ولاتفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها ﴾

لاتفسدوها بالجهر بالقول البذئ .. ولكن المظلوم مستثنى من اللوم .. لو أنه :

عبر عن ظلمه بالشكوى .. والتنديد بالظالم المفترى .. شريطة أن يتذكر دائماً أنه مظلوم ..

وإذن فلا يسرف فى هذا الحق .. حتى لايتحول ليكون ظالماً !؟

وأحياناً يكون ترك الحلم .. هو الحلم ؟!

إذا لم تكن إلا الأسنة مركباً .·. فما حاجة المضطر إلاركوبها

إنه وضع السيف .. فى موضع السيف .. ردعاً للمتطاولين من السفهاء .. والذين لايخافون إلا بأعينهم وبالذات ممن كان مثلهم فى بذاءة الخطاب !

ويبدو أننا محتاجون - أحياناً - إلى أن نخاطب هؤلاء باللغة التى يفهمونها .. لأن العفو قد يغريهم بالمزيد من السفه .

ومازلت أذكر ذلك الفلاح الذى سلقته امرأة شرسة بلسان حاد ..

فقال لأمه :

إما أن تأخذى بثأرى .. وإما أن تزوجينى امرأة سليطة اللسان تنوب عنى وعنك فى تأديب هذه المرأة .

ولقد كان لهذا الفلاح المغيظ من أدب أسلافنا قاعدة انطلق منها :

فقد روى أن رجلاً استطال على رجل .. وسكت المشتوم .

ولكن كان من حسن حظه أن كان أخوه الشرس معه .. والذى انتصر له من غريمه حتى أسكته .

ولقد كان « مكحول » حاضراً ذلك المجلس فقال : لقد ذل من لا سفيه له !!

أجل : من لم يتذأب .. أكلته الذئاب !!

مع ملاحظة التركيز على الانتصار الخاطف .. فى مثل هذه المواقف :

ذلك بأن مماراة السفيه .. إرخاء للحبل .. الذى سوف يعينه على الانتصار فى معركة هو بجبلته مهيأ للانتصار فيها .. وإن كان مبطلاً :

وخذ على ذلك مثالاً .. وبطله هو « الإمام أبو حنيفة » والذى كان من فطنته وحنكته .. كان يستطيع أن يقنع تلاميذه بالمسجد أن العمود الحجرى .. مصنوع من الخشب وليس من الرخام !

ولكنه هزم .. وبالضربة القاضية ! من قبل شاعر فاسق تافه لما أرخى له الحبل .

فأطمعه فيه :

قال له أبو حنيفة : ماتقول فى المتعة ؟

قال الشاعر : حلال !

فقال له أبو حنيفة :

أفيسرك أن أمك تزوجت متعة ؟!!

فسكت الشاعر ساعة جمع فيها أشلاءه المبعثرة . ثم استعاد ذكاءه .. ثم بدأ بهجوم مضاد .. فقال لأبى حنيفة :

ماتقول فى النبيذ ؟

فأجاب أبو حنيفة : حلال

فقال له الشاعر : وشربه . وبيعه وشراؤه ؟

فقال أبو حنيفة : نعم !

فقال لأبى حنيفة :

أفيسرك أن أمك نباذة ؟!!

فسكت عنه أبو حنيفة !!

وحق للإمام أن يسكت .. لما عادت إليه حكمته التى غابت لحظة فسمح لنفسه أن يمارى هذا الفاسق .. بل يبدؤه هو بالجدال .

فنضح الإناء بما فيه .. وكال له بنفس الكيل .. مسجلاً فوزه على قمة الشرف :

إن سهم أبى حنيفة الذى أطلقه على هذا الفاسق .. لم يصب منه مقتلا .

ذلك بأن ثوبه ملطخ بالانحراف .. فماذا يفعل أبو حنيفة وقد بلغ الشاعر فى التسفل درجة التشبع ؟!

إن الاطهار فى مواجهة الشطار منهزمون على حد قول الشاعر :

بلاء ليس يعدله بلاء ∴ عداوة غير ذى حسب ودين

ينيلك منه عرضاً لم يصنعه ∴ ويرتع منك فى عرض مصون !!

ولهذا قيل :

يحسن بالملوك الحلم عن كل أحد .. إلا عن ثلاثة .

قادح فى ملك .. أو مذيع السر .. أو متعرض لحرمة .

ونقول :

ويحسن بالعلماء - حفاظاً على كرامتهم - أن يعفوا ويصفحوا ويغفروا .. لكل أحد زلته .. إلا واحداً :

كهذا الذى قال :

إذا كنت بين الحلم والجهل قاعداً .·. وخيرت أنى شئت فالحلم أفضل

ولكن إذا أنصفت من ليس منصفاً .·. ولم يرض منك الحلم .. فالجهل أكمل !!

وإذا كانوا يقولون :

لاتعدم الخرقاء علة .. تغطى بها فشلها وحمقها .. فإن شاعراً ماكراً لن يعدم حفنة من تراب يحاول بها أن يغبش بها وجه عالم مسالم ؟!

ونتأمل قوله تعالى :

﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ سورة النحل « ١٢٦ » .

وحتى إذا أوقعت بغريمك « المثل » .. ثم بغى عليك بعد ذلك .. فاعف عنه .. يقول تعالى :

﴿ ثم بغى عليه لينصرنه الله ﴾

ويعنى ذلك أنه :

لاداعى للانتقام أصلاً!!

وإنما هى : هدهدة النفس .. والتلطف معها .. حتى تتسرب منها مشاعر العدوان مع الزمن !!

ونحاول أن نتناسى الهجوم على أبى حنيفة .. متأملين الواقع اليوم.. والذي يعكره المغرضون بما يتقولون على رموز الإسلام .. وبخاصة الذين لهم قدم صدق فى خدمة الأمة .. ونترك الأدب .. ليجأر بالشكوى من هذا التطاول :

ونحن العصافير .. نحفر أحلامنا فى الشجر

زورقنا الريح .. تبحر فى الصحو أو فى المطر

نسافر والأغنيات جوازاتنا للسفر

لماذا ونحن عرائس هذا الزمان الأغر .

نظل نغنى .. نغنى .. ويلقى علينا الحجر ؟!!

لنا كل يوم على شاطئ الواد عرس . وعيد

عشقنا الغنا فتعلمت الأرض منا النشيد

نغنى لأنا نغنى .. نطير لأنا نريد

عيون البنادق يوما علينا تصب الوعيد

تهدم أعشاشنا .. فنعمرها من جديد !

يريد أن يعيش

إن مـايريده « العـالـم » فقـط هو : أن يعـيش كـمـا يعـيش غـيـره من الناس .

وهذه نفثة مصدور تنوب عنا فى بيان ذلك :

يقول واحد من المطحونين :

أعجبتنى قصيدة لشاعر امريكى « زنجى » عاش فى القرن التاسع عشر :

دعنى أعيش :

فأنا لاأكرهك .. وأنت تكرهنى

وأنا فقير .. وأنت غنى

وأنا ضعيف .. وأنت قوى

وأنا أسود البشرة .. وأنت أبيضها

لكنها إرادة الله . وليست إرادتى .. ولاإرادتك

والله قادر على أن نتبادل : أنت وأنا مواقعنا .. فتصبح أنت أنا .. وأنا أنت .. وبشرتك سوداء مثل قلبك .. وبشرتى بيضاء .. مثل قلبى .

لكنني لاأكرهك .. فدعنى أعيش .

وإذا كان العلم .. بالتعلم .. فإن الحلم بالتحلم .. ثم مجالسة العافين عن الناس .

قيل للأحنف بن قيس :

ممن تعلمت الحلم ؟

قال : من قيس بن عاصم :

قيل له : ابن أخيك .. قتل ابنك !!

فمازاد على أن قال : عصى ربه .. وقطع رحمه .. جهزوه !!

قال ذلك : ولم يقم من مكانه .. قال أحنف : فتعلمت منه الحلم !!

لقد كان الحلم هنا فى أعلى مستوياته :

فقد حرم الوالد من فلذة كبده .. ثم إن الذى قتله ليس غريباً .. ولاغريماً .. وإنما ابن عمه .

[فإذا رميت أصابنى سهمى]

وإذاً .. فالموقف يتطلب جرعتين من الصبر .. ولاتكفى جرعة واحدة!

ولقد كانت أعصاب الرجل أقوى من الحديد .. حيث لم يخرجه الموقف من وقاره .. وإنما هى كلماته قصار .

ثم لم يتحرك من مكانه .. وإن كان فى قلبه مايشبه البركان .

إلي الحد الذى صار مثلا فى العفو .. العفو .. الذى سرى منه إلى الأحنف حتى صار له خلقا !

وهذه المواقف العملية فى العفو .. كانت لها مدرسة .

وكانت للمدرسة نظرية فى العفو .. علا بها منطق العقل .. على نزق العاطفة :

ومن ملامح هذه النظرية :

أ- من و اجهك بما ليس فيك .. فلا ترد عليه بما هو فيه ؟!

وقل : الحمد لله .. وقلها مرتين :

الحمد لله الذى كتب عليه أن يقول فى ماليس فى .

والحمد لله الذى أمسك لسانى فلم أقل فيه .. ماهو فيه !

ب- إن الحلم من أخلاق السيادة وقيل فى ذلك :

إذا شئت يوماً أن تسود عشيرة .·. فبالحلم سد .. لابالتسرع والشتم

ذلك بأن الحلم انتصار على النفس .. ومن انتصر عليها فهو خليق بالسيادة .

ولهذا قالوا :

صاف الصديق بوده .. وإذا دنا شبرا فزده

واحلم إذا نطق السفيه .. فمن يرد جهلاً يجده

وإذا لم تكن حليماً .. فتحالم .. حاول أن يكون الحلم لك تطبعاً .. إن لم يكن لك طبعاً

جـ- الناس ثلاثة :

رجل : أعـز منك .. ورجل : أنت أعـز منه .. وثالث : يساويك في العز .

فالتجاهل على من أنت أعز منه : لؤم .

وعلى من هو أعز منك : جنف « ظلم للنفس »

وعلى من هو مثلك : هراش مثل هراش الكلبين .. !
ونقار كنقار الديكين !
ولايفترقان إلا عن : الخدش .. والعقر .. والهجر
ولايكاد يوجد التجاهل والتحارش إلا بين سفيهين .
أما إذا كان أحد الأطراف حليماً وقوراً فإن الموقف يختلف .
وماشئ أسر إلي لئيم .. إذا شتم الكرام .. من الجواب
متاركة اللئيم بلا جواب .. أشد عليه من مر العذاب.

تجنب السفهاء

تجرد مااستطعت من السفيه بحسن الحلم : إن العز فيه
فقط يعصى السفيه مؤدبيه .. ويبرم باللجاجة منصفيه
تلين له .. فيغلظ جانبيه ... كعير السوء يرفس عالفيه
ألا إن من أكرمك .. فأكرمه .. ومن استخفاك فأكرم نفسك عنه
د- ماتم حلم ولاعلم بلا أدب ولاتجاهل فى قوم حليمان
ومالتجاهل إلا ثوب ذى دنس ∴ وليس يلبسه إلا سفيهان
وإذن .. فماذا يصنع المشتوم إذا .. رماه السفهاء بالرجوم ؟!
الحل هو ماأسلفنا .. ثم :

إذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك .. ثم إلى الأرض تحتك .. ثم عظم خالقها سبحانه وتعالى .. ثم تذكر كثرة حلم الله سبحانه عنك .. على كثر معاصيك .. وتعدى حرماته .. فاحلم على عيال من حلم عليك سبحانه لايخرجك غيظك من حق .. ويدخلك فى باطل .. وتذكر دائماً أن ردك على السفيه .. شفاء لغيظه .. فلا تحقق أمله الكذوب .

آفاق أرحب

إن السماحة والعفو : من سمات المؤمن : المؤمن الذى يعلمه القرآن كيف يتسع قلبه ليستوعب حتى المخالفين فى الدين ..

وذلك بعض مايفهم من قوله تعالى :

﴿ **قل للذين آمنوا يغفروا للذين لايرجون أيام الله ليجزى قوماً بما كانوا يكسبون** ﴾ الجاثية « ١٤ » .

إن ترقب الانتصار .. لايحقق الانتصار .. ولكنه يتحقق بالصبر .. وتجاهل حقوق النفس .

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى .. فما انقادت الآمال إلا لصابر

وقد وجدت هذه التعاليم من يبشر بها .. ويحض عليها :

إذا مارماك الدهر يوماً بنكبة .. فهيئ لها صبرا .. وأوسع لها صدرا

من هدى السنة مع أهل الكتاب

﴿ **ولو شاء ربك لآمن في الأرض كلهم جميعا** ﴾ سورة يونس « ١٩ »

١- كان ﷺ حريصاً على هدايتهم لدرجة أن قال له الله تعالى عندها :

﴿ **فلعلك باخع نفسك** ﴾

٢- وإذن فقد تخطى دوره في البلاغ .. إلى الإكراه .

٣- والآية ترد على القائلين بانتشار الإسلام بالسيف .. والسيف لايرفع إلا على المستعمرين المانعين الناس من دخول الإسلام .

شواهد عملية

١- وكان عمر رضي الله عنه يسأل الوفود - أول مايسأل عن معاملة الذميين.

فإن علم بعدل الولاة فيهم .. عرف أنهم أولى بالعدل مع أنفسهم . ومع الرعية .

٢- وحفيده عمر بن عبد العزيز رحمه الله :شكا إليه أهل صفد من سمر قند :

إن قائده - قتيبه بن مسلم - دخل فاتحاً . دون أن يخبرهم فحقق في القضية ..ثم أمر الجيش بالرجوع إلى ثكناته .

والأصل في ذلك قوله ﷺ :(من آذى ذمياً فأنا خصمه .. ومن كنت خصمه .. خصمته يوم القيامة)[1]

وكان ﷺ إذا بعث جيشاً أو سرية وصاهم : بتقوى الله .. ثم قال: اغزوا باسم الله .. لاتقتلوا وليداً .. ولاامرأة .. ولاتقطعوا شجرة ثم يقول :

قاتلوهم ولم يقل اقتلوهم .. وحتي إذا سقط من المسلمين أول قتيل رفعوه ليراه المعتدون .. فلعلهم ينتهون .

---

(١) الفتح الكبير ٣ / ١٤٤ .

السماحة حتى مع الأشرار

يقولون : لاتصاحب الأشرار وكن من الأخيار على حذر.

ومن هؤلاء الأشرار : الشاعر الوثنى : أبو عزة الجمحى :

لقد كان هجاء للإسلام .. ولرسول الإسلام ﷺ .

ولما أسر فى بدر واتت الفرصة للانتقام منه .

ولكنه اشتكى إلى الرسول ﷺ فقره .. وعياله زغب الحواصل

فأطلق سراحه . وعفا عنه .

ولكنه عاد سيرته الأولى .. هجاء مقدما فى الهجاء..

فلما أسر مرة أخرى وطلب العفو .

رفض ﷺ اعتذاره .. قائلاً : (لايلدغ المؤمن من جحر مرتين)

إنه إذا كان العفو خيطاً بارزاً فى نسيج الإسلام .. فإن وضعه فى غير موضعه عدوان على مبدأ العفو نفسه .. والذى لاينبغى أن يستثمره الملحدون خداعا .. وشطارة .

الأصل فى ذلك :

والأصل فى ذلك قوله تعالى :

﴿ **وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ سورة المائدة « ١١٨ » .

لم يقل سبحانه وتعالى ﴿ **فإنك أنت الغفور الرحيم** ﴾

يقول المفسرون :

إن المقام مقام غضب الله تعالى . فاللائق هو : العز .. والقدرة :

فحتى لوعفا .. فعن قدرة وحكمة .إنه وضع للسيف .. فى موضع السيف فهو العدل والعز .. والحكمة البالغة .

جزاء العفو

قال ﷺ :

يا أبا الدرداء : ألا أنبئك بأمرين : خفيف مئونتهما .. عظيم أجرهما ؟ لم تلق الله عز وجل بمثلهما ؟ : طول الصمت .. وحسن الخلق .

وذلك .. من الناحية الإيجابية .. أما من الناحية السلبية فهو :

التجاوز عن أخطاء الناس .. والتماس الأعذار لهم .

يضاف إلى ذلك :

طول الصمت ومعناه :

أ- عدم الإثارة . وترك استفزاز الآخرين .

ب- ثم طول التأمل فى أحوال الكون من حولنا .. استهدافا لأسراره التى تتنامى بها معارف الإنسان ليكون بين الناس حليما رزينا .. عليه من نبله مهابة . وجمال .

العفو والتسامح في الجانب الاقتصادى

ينطلق التعامل الاقتصادى من القاعدة الأخلاقية .. لا من المنفعة الشخصية : ومن مظاهر ذلك :

أ- النهى عن تطفيف الكيل

ب- النهى عن الاحتكار الذى هو سبيل إلى غلاء الأسعار

جـ- إنظار المعسر .. أو مسامحته

د- العفو عن المشترى الذي بدا له الرغبة عن الصفقة .. ويطلب فسخ العقد.

هـ- (من أقال مسلماً أقال الله عثرته) رواه أبو داود

ولسوف ييسر الله للمقيل .. كما يسر على غيره

و- ضرورة بيان عيوب السلعة من قبل البائع .

ز- التاجر الأمين .. الصادق مع النبيين والصديقين والشهداء .

ورحم الله عبداً سمحاً إذا اشترى سمحا قضى إذا سمحا إذا اقتضى ..رواه البخارى .

وسماحة البائع هى :

ترك الشجار والغلظة .. الالتزام بالتسعيرة .. وعدم تخزين السلعة على رجاء زيادة ثمنها .

الاقلاع عن خداع المشترى بعرض السلع الرديئة .. ثم تزيينها للمشترى ليقبلها .

أما سماحة المشترى فهى :

الإقلاع عن المساومة والمراء .. وعدم التعالى على البائع بدعوى أنه يفضله على غيره .. أى :

لايمن عليه بالشراء منه .. وبالذات دون غيره .

أما سماحة المقتضى فتعنى : الترفق فى الطلب :

بمعنى : ترقب يسار المدين .. وعدم إشعاره بأن له فضلاً عليه .

ويعنى ذلك كله :

الضغط على نزعة البخل فى القلب .. لينال فى النهاية جزاءه من جنس عمله .. رحمة من الله عز وجل يحسن بها حاله ومآله .

من موانع السماحة

قد يحس الرجل إزاء الآخرين بأنه :

الأقوى .. والأغنى .. والأعلم

وأنه مع ذلك ذو حسب ونسب و مال وقد يسول لك شيطانك أن سماحتك مع غيرك وعفوك .. إنما هو ضعف منك .. مخصوم من حساب كرامتك .. لاسيما إذا كانت مع المخالف لك فى الدين كل أولئك .. قد يشكل مانعاً من التخلق بالعفو عن الآخرين ..

مع أن السنة صريحة بأن الأمر خلاف ذلك تماماً :

فمايزيد الله تعالى عبداً .. بعفو إلا عزا .

وأن ماتتحصن به من مال وعافية .. عارية مستردة .. وقد تتبادل المواقع لتكون فى مؤخرة الركب !!

قال ميمون بن مهران :

ثلاثة : حق المؤمن والكافر فيها سواء :

الأمانة تؤديها إلي من ائتمنك عليها : من مسلم أو كافر .

والوالدان : تبرهما : مسلمين أو كافرين .

والعهد : تفي به لمن عاهدت : مسلماً أو كافراً .

ولقد كان لأهل الكتاب نصيبهم المفروض من هذا التسامح : فلقد كان عمر رضي الله عنه يسأل الرسل الوافدة عليه أول مايسأل عن : أهل الذمة .. اهتماماً بحقهم كما أشرنا .. بالإضافة إلى أن الإحسان إليهم يعنى الإحسان إلى المسلمين بطريق الأولى .

ومع أننا مسلمون متبعون محمداً ﷺ إلا أن إيماننا لايتم إلا إذا آمنا بكل رسول أرسله الله عز وجل .

وإلا إذا أحسنا معاملتنا لمن اتبعهم .. على نحو بدا فيه الفارق الهائل بيننا ودينهم .

أسر ولد لأبى سفيان فى بدر .. فأشير عليه أن يفديه .

ولكنه رفض الفكرة قائلاً :

يقتلون أبناءنا .. ونمدهم بأموالنا ؟!

ثم انتظر حتى لقى أنصاريا بالمدينة .. فأسره قائلاً له .

لو سلمنى محمد ولدى .. سلمتك .. ولو قتله .. قتلتك .

مما حمل هذا الأسير على إخبار أهله بذلك .

ففداه ﷺ .. مؤكداً أن الإسلام حريص على دماء الإنسان أن تراق .. مهما كانت عقيدة هذا الإنسان .

وعلى ذكر بدر .. نذكر قصة « خبيب » : لقد قتل من قتل فى غزوة بدر .. ثم خطف .. وبيع الأسواق مع أنه كان حراً .

وأخيراً .. وصل إلى الأعداء .. الذين قرروا قتله !

وقد أخذ الرجل الذى اعتقل فى داره : لى عليك ثلاث :

أن تسقينى بارداً .. وألا تؤكلنى ماذبح على النصب .. وأن تخبرنى بيوم قتلى .

وعندما علم بيوم قتله .. طلب حديدة « موسى » ليتطهر بها استعداداً للموت .

فارسلت إليه ربة البيت حديدة مع غلامها الصغير .. ولما وصل إليه تنبهت .. ثم فزعت غريزة الأمومة قائلة :

ماذا صنعت ؟! لقد أصاب الرجل ثأره .. ويكون برجلاً يرجل .

وطمأنها « خبيب » وهو يجلس الطفل على فخذه قائلاً لها :

أتظنيننى قاتله ؟ لا !!

وكان فى إمكانه :

أ- أن يقتله .

ب- أو يتخذه رهينة يساوم عليه وتلك فرصته .. ولكنه لم يفعل[1].

أجل .. لم يفعل ماتفعله إسرائيل اليوم .

---

(١) راجع القصة فى : أسد الغابة وسير أعلام النبلاء .

أجل .. لم يفعل ماتفعله اسرائيل اليوم .. والتى تستبيح دماء الأطفال والنساء . والمسنين بلا رادع من مروءة أو دين .

وكان بإمكان الأسير المسلم أن يثأر لنفسه .. ولكنه لم يستعمل حقه وكان له فى استعمال عذر.

وهكذا فى الماضى والحاضر .. والناس يستعملون حقهم الدستورى فى الحياة .

وفى أوقات الحرب .. يحاول كل فريق أن يثأر لنفسه وفى اللحظات الحرجة .. وقد يتجاوز المدى .

حدث ذلك فى الماضى .. من أبى سفيان .. ثم فى الحاضر .. على يد اسرائيل ولكن الإسلام شئ غير هذا تماماً .. مما يؤكد أن أمتنا قد تمرض ولكنها لا تموت .. إن مكر الأعداء لم يضعف حنين الأمة لماضيها والذين هاجموا « سلمان رشدى » هاجموا الأقذاع .. لا الإبداع .

إن الأمة قد تعيش أياماً نخسات .. ولكنها ستنتصر غدا « والعاقبة للتقوى » .

روى أبو يوسف فى الخراج نص المعاهدة التى صالح فيها خالد .. أهل الحيرة بالعراق - وهم من النصارى - وتشتمل الوثيقة على نص يقرر تأمين هؤلاء القوم ضد : الفقر والمرض والشيخوخة .. وأن تتولى خزانة الدولة تمويل هذا التأمين « وهو أول ضمان اجتماعى » مع أناس بقوا على دينهم المخالف .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلي عدى بن أرطأه حاكم البصرة من قبله وانظر من قبلك من أهل الزمة :

قد كبرت سنه .. وضعفت سنه .. وولدت عنه المكاسب .

فأجر عليه من بيت مال المسلمين مايصلحه .. وذلك أنه بلغنى أن أمير المؤمنين عمر مربشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس فقال :

ماأنصفناك إن كنا أخذنا منك الجزية فى شبيبتك ثم ضيعناك فى كبرك .. ثم أجرى عليه من بيت المال مايصلحه .

قدسية هذه الحقوق

حتى والحرب دائرة حامية الوطيس .. ولحظة واحدة قد تميل بالميزان .. إلا أن الإسلام لايتخلى عن قيمة التسامح فى هذا الجو الذى تغلى فيه الدماء .. فينهى عن قتل أطفال من يقاتلوننا ونسائهم .. ولانمثل بجثثهم .

ثم معاملة الأسير كإنسان .. وقد رفض ﷺ نزع ثنية سهيل بن عمرو وكان ممن هجا الإسلام .. فرفض رسول الله ﷺ جاعلاً لقيمة السماحة الأولوية .. انتصاراً للحب .. على الحرب الذى يجب أن تكون آخر الدواء .ويبقى فصل الخطاب للسان .. وليس للسنان :

الحرف..والسيف

فى حرب السنان .. قد يكون هناك نصر .. ولكنه نصر أسرع وأحسم كلما قويت الضربات وتكاثفت وأسرعت .

أما فى حرب اللسان :

فإن النصر يكون أوجع وأعمق كلما كانت الضربات أخف .. وأرق .

الاحترام المتبادل

وقد وصل هذا الاحترام المتبادل شأوا بعيداً فى موقف المستشرق الإنجليزى « بلنت » :

لقد أحب الشيخ محمد عبده حباجما .. إلى حد أنه أجر محامياً يدافع عنه .. وعن « عرابى » .. وقبل ذلك أهداه قطعة من الأرض فى مصر ليبنى عليها بيتاً .

وبهذا صار جاراً ملاصقاً له !

بل إن هذا المستشرق أحب مصر كلها .. من خلال الإمام محمد عبده .. هذا الإمام الفذ الذى فرض احترامه .. بل وحبه حتى علي خصومه !!

حتى قال له الأفغانى يوماً : ابن أى ملك أنت ؟

لما رأى من حكمته وسماحته ونبله وقد أجاب الرافعى قائلاً :

لم يكن « محمد عبده » ابن ملك .. ولاابن أمير .. ولكنه كان ابنا للقوات الروحية العاملة فى هذا الكون !! .

وكان هدف الإمام من وراء هذه السماحة توثيق عرى الصداقة بين المسلمين والمسيحين ولكن « الخديوى عباس » غضب لهذا السبب .. لأنه كان يخشى أن يدخل الإنجليز فى الإسلام .. لتصبح الملكة حاكمة لمصر ؟!

ولقد انتهزها اليهود فرصة .. فقد تحالفوا مع المسيحية .. فكانت اسرائيل .. بينما نحن نائمون فى العسل !!

ولقد كان لهارون الرشيد طبيب نصرانى :

إنه يعيش فى عمق الدائرة الإسلامية .. وفى قصر الحاكم المسلم والذى ائتمنه على حياته .

بل إن نقاشا دار بين هذا الطبيب وبين على رضي الله عنه .. فقال الطبيب :

العلم : علمان : علم الأديان .. وعلم الأبدان .

وليس فى دينكم من علم الطب « الأبدان » شئ .

فقال على رضى الله عنه : بل عندنا فى نصف آية ﴿ **كلوا واشربوا ولاتسرفوا** ﴾

فانظر كيف كان هذا الاختلاط سبيلاً إلي تصحيح بعض المفاهيم .. فى دولة متحضرة .. يتسع صدرها للمخالف فى الدين .. والذى يحاور .. ثم يصل به الحوار إلي بصر بما كان يجهل .

فى مجالس علمية وبين يدى الخليفة المفترى عليه .. هارون الرشيد .. والتى لم تكن مجالسه شقشقة لسان .. وإنما هى الأعمال الحسان .

يحفل تاريخنا الإسلامى بمثل هذه المواقف العظام .. ومازال فينا اليوم من يقول : هل يمكن إنشاء علاقة بين المسلم وغير المسلم ؟!

ومع اليهود

قال مجاهد :

كنت عند عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .. وغلام له يذبح شاة

فقال : يا غلام : إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودى حتى قال ذلك مراراً .

فقال له الغلام متعجباً : كم تقول هذا !!

فقال له ابن عمر : إن رسول الله ﷺ لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه .

إن السماحة مع اليهودى لم تكن فورة عاطفية .. وإنما كان تشريعاً واجب النفاذ .

وفى الوقت الذى كان بعضهم ينال من الإسلام نيلاً .. ويحتالون للقضاء عليه .. احتيالاً لطفاً حتى لايكاد يحس :

ومن ذلك :

أنه قد يذكرون للإسلام عشرة محاسن .. ولكنها ليست من الأهمية بمكان .

وذلك بغية سرقة إعجاب القارئ المسلم « لتمرير » عيب واحد فقط .. يختارونه بدهاء .

وهو وحده كاف لطمس جميع المحاسن التى ذكروها تمويهاً ..

تمويهاً يضعون فيه السم - كما قيل - بنسبة محددة .. وحتى لاتنتبه الضحية !

والبقاء للأصلح

ومع ذلك فقد بقى من كل الأطراف منصفون : ظلوا أوفياء لأديانهم .. ولكن صدورهم قد وسعت المخالفين فى الدين :

ومنهم الشيخ عبد الله الهاشمى :

كتب عبد الله بن إسماعيل الهاشمى إلي عربى مسيحى هو عبد المسيح بن إسحاق الكندى :

بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد :

فقد افتتحت كتابى إليك بالسلام عليك والرحمة .. تشبها بسيدى وسيد الأنبياء رسول الله ﷺ :

فإن ثقاتنا .. ذوى العدالة عندنا . الصادقين .. الناطقين بالحق .. الناقلين إلينا أخبار نبينا عليه الصلاة والسلام .. قد رووا لنا عنه أن هذه كانت عادته وأنه صلى الله عليه وسلم كان إذا افتتح كلامه مع الناس يبادئهم بالسلام .. والرحمة فى مخاطبته إياهم .

ولايفرق بين الذمى منهم والأمى ولا بين المؤمن ولا المشرك . وكان يقول : إنى بعثت بحسن الخلق إلى الناس كافة . ولم أبعث بالغلظة والفظاظة .[1]

خطب بشارة الخورى - الوزير السورى فى حفل أقيم لإحياء ذكرى رسول الله ﷺ « ١٣٥٤ » هـ .

إن محمداً أعظم عظماء العالم . ولم يجد الدهر بمثله بعد والدين الذى جاء به أوفى الأديان وأتمها وأكملها .. وإن محمداً أودع شريعته المطهرة أربعة آلاف مسألة علمية واجتماعية وتشريعية .

ولم يستطع علماء القانون المنصفون إلا الاعتراف بفضل الذى دعا الناس إليها باسم الله وبأنها متفقة مع العلم .. مطابقة لأرقى النظم العلمية.

إن محمداً الذى تحتفلون به . وتكرمون ذكراه : أعظم عظماء الأرض .. سابقهم ولاحقهم .

---

(١) « الدعوة إلى الإسلام ٧٧ / ٧٨ » .

فقد استطاع توحيد العرب مع شتاتهم .. وأنشأ منهم أمة موحدة .. فتحت العالم المعروف يومئذ وجاء لها بأعظم ديانة .. عينت للناس حقوقهم وواجباتهم وأصول تعاملهم .. على أسس تعد من أرقى دساتير العالم وأكملها .. لقد كانوا يتهادون أكرم العواطف ولم يكن هذا قولاً طائراً في الهواء .. ولكنه كان فوق ذلك مواقف .. أكدت إمكان التعايش السلمى بين أهل الأديان جميعاً ..

يقول أحد الباحثين :

ألم تقرأوا فى تاريخ مصر أن الأقباط قد ساعدوا المسلمين علي فتح مصر ، ورحبوا بهم لانقاذهم من الاضطهاد المذهبى الذى تعرضوا له على أيدى الرومان ، وأن عمرو بن العاص هو الذى أعاد بطريرك الأقباط البابا بنيامين ، إلي كرسيه بعد أن ظل هارباً فى الصحراء لمدة اثنى عشر عاماً ، كما أعاد للأقباط كنائسهم التى اغتصبها الرومان ، وخطب فى أول جمعة صلاها بجامعة بالفسطاط قائلاً : « استوصوا بمن جاوركم من القبط خيراً ، فإن لكم فيهم ذمة وصهراً ، فكفوا أيديكم ، وعفوا ، وغضوا أبصاركم » .

ومنذ الفتح الإسلامى الذى أنقذ الأقباط من ظلم الرومان ، استوعب الأقباط جيداً الدرس القاسى الذى تلقوه من الامبراطورية الرومانية المسيحية ، وأدركوا أن اختلاف الدين ، لاينال من وحدة الدم والمصير بين أبناء مصر جيمعاً . وهذا مايفسر لماذا حارب الأقباط فى صفوف المسلمين ضد جميع الغزاة « من الصليبيين والفرنسيين والانجليز والاسرائيليين » وغيرهم . ومنذ الفتح الإسلامى لمصر . عاش المسلمون والأقباط كأسرة كبيرة واحدة يسودها الحب والوفاء والإخلاص فى كافة مناحى الحياة وذلك باستثناء بعض

عهود الضعف والتدهور التى كان الظلم فيها يقع على المسلمين والأقباط معا . وقد لاحظ عميد الاستعمار البريطاني ، اللورد كرومر ، الاندماج التام بين المسلمين والأقباط فكتب قائلاً : « انه لايوجد شئ على الاطلاق يميز بين المسلم والقبطي فى مصر ، لا في الشكل ، ولا فى الزى ، ولا فى العادات أو التقاليد أو أسلوب المعيشة ، الشئ الوحيد الذى يميز بينهما هو أن المسلم يعبد الله فى المسجد ، والقبطى يعبد الله فى الكنيسة » .

عندى كلام كثير أريد أن أقوله لهؤلاء الجناة لايتسع له مقال سريع . ولكنى أود فى ختام حديثى ، أن أوجه كلمة إلى أجهزة الاعلام في الغرب والشرق ، فأقول إنه من الظلم البين محاسبة الاسلام بتصرفات البعض ، فالعدالة تقضى بأ تقاس تصرفات المسلمين بموازين الاسلام ، والعكس ليس صحيحاً بأى حال ، إذ لاينبغى أن يحاكم الإسلام بما يصدر عن بعض المتطرفين المسلمين من تصرفات يرفضها الاسلام ويأمر بعكسها تماماً . وفي الغرب نفسه يوجد العديد من المتطرفين والارهابيين الذين ينتمون إلي المسيحية ، ولم نسمع أحداً من أهل الغرب يحاكم الديانة المسيحية بتصرفات هؤلاء المسيحيين .

لذلك أناشد الاعلاميين فى الغرب والشرق أن يلتزموا بالعدالة وشرف الكلمة ، وأن يتقوا الله فيما يقولون ويكتبون .

تلك آثارنا ...
وهذه آصارهم

اسئلة تفرض نفسها :

لماذا يتولى اليهود كبر الحملة الاثمة ضد الحق واهله عبر التاريخ ؟

ولماذا تتجه اول ما تتجه ودائما إلى كل ما هو عربي واسلامي ؟

لماذا يصول المغرضون في الكيد له كل مصال .. في محاولات يائسة للنيل من عزته .. ومن قيادته ؟

ذلك ما نحاول الاجابه عنه فيما يلي :

مسئولية اليهود
عن فساد العالم

ان معرفة طبيعة العدو ونياته تحدد أسلوب التعامل معه .. وحين نستفتي القرآن الكريم .. ونسائل الواقع الماثل .. فسوف نعود بتصور صادق .. يتيح لنا فهما اعمق لطبيعة اليهود .. ومن ثم تجيء خطة التعامل معهم على اوفى معاني الاحكام : ونقرأ في ذلك قوله تعالى :

{ من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس اوفساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا } (١)

لقد جاءت هذه الاية الكريمة بعد قصة ابني آدم .. وما طويت عليه من الشر الذي تربص بالخير .. فازاحه من الوجود .. ليتفرد بالحياة دونه ..

---

(١) المائدة ٣٢

لقد تقبل الله تعالى قربان المؤمن .. المصلح .. الذى يحمل فى قلبه خميرة حضارة مزدهرة .. محكومة بقيم التقوى .. وارادة الخير .. فتصدى له الشر الذى لا يملك صلاحية العيش فى ظل هذه الرفيعة ..

فاذا قال الحق تعالى عقب القصة مباشرة :

﴿ **من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس ..** الايه .. اذا خص تعالى بنى اسرائيل بالذات دون اجناس البشر .. فانما يفتح بصائر الناس على مكمن الخطر .. ليواجهوا معا عدوا مشتركا للانسان حيثما كان .

مفاتيح الشخصية اليهودية

ولكن . لماذا يتحمل اليهود وحدهم مسئوليه الفساد ثم تصديره الى امم الارض جميعا ؟

هناك مفتاحان للنفسة الاسرائيلية .. يرفعان الستار عن هذه الحقيقة الثابتة :

١ - عقدة الشعب المختار .

٢- وعقدة الحقد المشتعل الاوار .

ولقد كان لكل من الامرين .. مضاعفات تجلت فى معاملاتهم لغيرهم من البشر :

مضاعفات عقد الشعب المختار

﴿ **.. ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأمين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون** ﴾ (١)

---

(١)ال عمران ٧٥

يقول البيضاوى :

(اى ليس علينا فى شأن من ليسو من اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم " ويقولون على الله الكذب " بادعائهم ذلك " وهم يعلمون " انهم كاذبون . وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا : لم يجعل لهم فى التوراة حرمة .

وقيل عامل اليهود رجلا من قريش . فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا: سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك فى كتابهم)

واذن فقد سولت لهم تلك العقيدة ما يلى :

أ - اكل اموال الناس بالباطل .

ب - احتقار المخالفين لهم فى الدين .

جـ - معاملتهم بقسوة من لايخشى العواقب .

د - الجرأة فى مناهضة الحق واهله .

هـ - الاستعلاء الكاذب والتباهى بقيم ليسوا بأهلها ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا .

قال العلماء :

أصل كفر اليهود : من جهة عدم العمل بعلمهم .

فهم يعلمون الحق . ثم لا يتبعونه عملا . اوقولا وعملا .

وكفر النصارى : من جهه عملهم بلا علم . فهم يقولون على الله مالا يعلمون . ويفسرون بلا دليل .

قال سفيان بن عيينة :

(من فسد من علمائنا .. فيه شبه من اليهود .ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى)

القرآن الكريم
يفند مزاعم المطلين

قلنا إن عقدة " الشعب المختار " لعبت دورها فى تشكيل الطبيعة اليهودية .. وقد أحبط القرآن الكريم دعاوى اليهود هنا .. مع ملاحظة ان الكتاب وان وقفوا فى خندق واحد ضد الدعوة الاسلامية الا ان اليهود كانوا أسرع إلى العدوان والادعاء فيهم .. يفهم ذلك من عرض القرآن لدعاواهم .. وما لا حظته من تقديم اليهود فى الذكر دائما فى معرض الكيد والادعاء والتزييف . مما يؤكد توليهم كبر مناهضه دعوات الاصلاح .

ومن هذه الدعاوى : انهم اصفياء الله تعالى :

﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه . قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق ﴾(1)

ومنها : ان ابراهيم وذريته كانوا هودا او نصارى

﴿ ام تقولون أن إبراهيم وإسماعيل واسحاق ويعقوب كانوا هودا او نصارى قل أأنتم أعلم أم الله .. ﴾ (2)

وزعموا أن الهداية صناعة يهودية بالدرجة الاولى :

﴿ وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ﴾ (3)

والجنه حكر عليهم :

---

(1) المائدة ١٨ (2) البقرة ١٤
(3) البقرة ١٣٥

﴿ وقالوا لن يدخل الجنه الا من كان هودا اونصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم أن كنتم صادقين ﴾ (١)

وعلى فرص انهم يعذبون .. فسوف يكون ذلك العذاب قليلا :

﴿ وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون ﴾ (٢)

محاولة التفرد بالقمة

﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب ... ﴾ (٣)

الرد المسكت

قطع القرآنم الكريم الطريق على كل هذه الدعاوى الباطلة .. فكانت هباء .. وكانوا سدى : وذلك قول الله تعالى :

﴿ قل ياايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه ابدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ﴾(٤)

ولاحظ توجيه الخطاب هنا الى اليهود بخاصة .

التحذير من مكر اليهود

من أجل ذلك يحذرنا القرآن الكريم من مؤامرات اليهود ومن احتطب فى حبلهم فى مثل قوله تعالى :

---

(١) البقرة ١١١ — (٢) البقرة ٨٠

(٣) البقرة ١١٣ — (٤) الجمعة ٧/٦

﴿ ياايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ [1]

٢ - الطبيعة الحاقدة

وكان من طبيعة اليهود الملتوية المظلمة ان ترمى غيرها من الشرفاء بدائها .. ثم تنسل

وكان من افراز ات هذه النفسية المعقدة :

أ - تدبير المؤامرات فى الخفاء .

ب - اللف والدوران جبنا عن مواجهة الحق . وتحمل تكاليفه .

جـ - تصدير عناصر الفساد الى كل فجاج الارض .. ليكون الاطهار معهم .. يتدحرجون مثلهم على السفح .

(ودوا لو تكفروان كما كفروا فتكونون سواء)

د - الكره الشديد للقيم الباطله . يتمثلون اناساً ليسوا على ملتهم يقيمهم الله تعالى حجة عليهم .

والنتيجة : ان اليهود تحكمهم طبيعة منكرة تحفر بينهم وبين المؤمنين بالذات عداوة دائمة فلا يلتقيان .. ولا بقاء لأحد هما الا بذهاب الاخر .

يقول سبحانه :

﴿ لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون ﴾ [2]

---

(١) المائدة ٥١

فأنت ترى المؤمنين وقد خصوا بقدر كبير من العداء من حيث تناقص وضع المؤمن مع نفسية اليهود .

ان طبيعة اليهود التى جبلت على الغدر والكذب والجبن .. تناقص الحق الذى هو : وفاء .. ويقين .. وشجاعة ..

ومن ثم فهم فى عداء مستمر مع المؤمنين :

الأوفياء ...

الموقنين ...

الابطال ...

ان جبهة الايمان بخصائصها . تواجه شرذمة الكفر بعلاماتها :

انه : التوحيد .. ازاء التعداد .

والتفاؤل .. امام التشاؤم .

والايمان .. فى مواجهة الشك .

متى يشتعل الحقد اليهـودى نارا

كل ما يصطدم بعقدة " الشعب المختار " ووقدة الحقد المقيم فإنه يثير لواعج بنى اسرائيل . ويستخرج من قلوبهم ما يشبه النار الكاوية .. ضد هؤلاء الذين رأوهم خيرا منهم ..

فاذا كان هؤلاء الاخيارهم العرب والمسلمين .. ثار الحقد المقيم والذى يرميهم فى اودية من السخط والفجيعة .. وهذا ما حدث بالفعل :

(لقد كان اليهود بالمدينه يساهمون تأريث العداء بين الاوس والخزرج ليظل النزاع قائما فى يثرب . فترتفع مكانتهم السياسية على نثار من الدماء والاشلاء .

ويتقرب اليهم الفريقان فى تودد وتزلف . فيتخذون من الشمل المتصدع . والامن الضائع شباكا قاتلة للسيطرة والعتو) [1]

هكذا كان الحال بالامر .. فماذا حدث ؟

القدر الأعلى يخلف ظنهم

لقد وجد اليهود المسلمين فى اعلى مستويات :

أ - اللياقة الايمانية .

ب - واللياقة العسكرية .

فتيقظت الطبيعة الحاقدة الشموس لتتصدى لموكب الطهر يغسل ادران الحياة .. ويفضح خبيئة المتآمرين .. .

فكانت فضائل المسلمين حربا عليهم كما قال الشاعر :

طهارة بعض الناس حرب عليهمو .·. وفضلهمو خصم لهم وغريم

الايمان العميق

رقب اليهود المعارك الدائرة بين المسلمين والمشركين رقابة المتحيز للوثنية وكان الظن ان يكونوا مع المسلمين فى خندق واحد ضد العدو المشترك : الوثنية . فماذا وجد اليهود ؟

بدت من خلال المعركة الطحون شخصية المسلم أنصع جوهرا .

(١) صفحات هادفة من التاريخ الاسلامى ١٥ / ١٦

أن المسلمين : كرمـــــاء .. ثابتون على المبدأ ..يحبون الموت اكبر من حبهم للحياه .. ويحبون محمدا كما لم يحب أحداً .

واذن .. فقد بدأ الفارق الهائل بين شخصية المسلم بخصائصها تلك . وبين شخصية اليهود التى طبعت على :

البخـــــل ..

النفـــــاق ..

الحرص على الحياة .. بل انهم لأحرص عليها من الذين اشركوا)[1]

الليـــاقة العسكرية

وكانت فضائل المسلمين اسلحة تحارب الى جانب السلاح الابيض . بل وقبله !

(فاذا كانت هذه القيم النبيلة قد وجدت نصوصها فى كتب الفقه والاخلاق . فان تطبيقها العملى قد وجد المتنفس الواسع فى رحاب المعارك . فوجد من رجال الاسلام من اعتنقوا هذه المبادئ عن حب خالص . ثم جاءت ساعة الامتحان العسير . فأدوا أدوارهم المشرفة كما اوحت لهم هذه القيم دون نكوص)[2]

(١) من بحث لنا – منار الاسلام شعبان ١٤١٠

(٢) صفحات هادفة ٣

وقد ظهرت هذه القيم فى معركة بدر الكبرى .. ومن ثم ادرك اليهود إنه لابقاء لهم .. ما بقى المسلمون !

ذلك بان بقاء احدهما نفى للآخـــر ..

واين اليهودى الجبان من ذلك المسلم الذى كان يحتضر على ارض المعركة وفى آخر رمق من حياته .. يتحامل على نفسه قائلا لرفيق السلاح :

أوترانى قوى ؟!

لقد صدم اليهود صدمة عنيفة .. مدفوعين بعقدة الامتياز .. وعقدة الحقد .. لقد رأوا انفسهم امام المسلمين الذين تجاوزوا نداء الغرائز انتصارا للحق حين آثروه على آبائهم . وأموالهم . وصار الاوس والخزرج كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .. لا تتسرب منه مودة لكافر مهما كانت درجة قرابته ..

لقد حسم الاسلام المعركة بين المبادئ والمنافع فاختار المسلم المبادئ .. اولا .. والمبادئ عاشرا .. وكانت وظيفة المؤمن كما يقول الرافعى ..

ان يعمل للمبدأ .

إن المبدأ جزء من طبيعته .

وغايته الشريفة لا تنفصل عنه .

وهو القنبلة التى يفجرها التاريخ . كلما احتاجت الحياة الى اطلاق قنابلها ..

فى اعقاب بدر

ولقد كان انتصار المسلمين فى بدر اعظم تعبير عن تفوق المسلمين إيمانيا وعسكريا .. ومن ثم .. فقد فجر ذلك الانتصار قنبلة الحقد فى قلوب القوم ..

وظهروا على حقيقتهم حين ووجهوا عمليا بالامة الاسلامية على اوفى ما يكون التفوق . وعلى اجمل ما يكون الحب ..

فكان ذلك الانتصار طعنه نجلاء ..

أظهرت المخبؤ من اخلاقهم :

تقول كتب السيرة :

بعد انتصار بدر . جمع ﷺ بنى قينقاع بسوق بنى قينقاع ثم قال : (يامعشر يهود :

احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة . واسلموا . فانكم قد عرفتم انى نبى مرسل : تجدون ذلك فى كتابكم . وعهد الله اليكم .

قالوا : يامحمد .. انك ترى انا قومك ! لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة .

انا والله لئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس !) .

وهكذا قرر اليهود اعلان الحقد .. فى محاولة يائسة للقضاء على امة الاسلام لقد اعلنوه فى اللحظة التى سقط فيها الشرك .. وبدا المسلمون فى أصح اوضاعهم .

وانك لتعجب اليوم حين توافيك الانباء من الارض المحتلة معلنه استمرار حملة الابادة - زعموا - فاليهود يحرقون الاثار الاسلامية فى فلسطين .

ليقضوا على الماضى ..

ثم هاهم اولاء يقتلون الصبيان ..

ليقضوا على المستقبل ..

وهكذا يظل البرزخ واسعا .. بين طبيعتين .. لا تلتقيان ابدا .

وحتى فى أحد

تأكد لليهود ان نكسة الامة العربية المسلمة لم تكن سقوطا وانما كانت كبوة عارضة ..

وان حركتها لم تكن فورانا .. وانما كانت ارتفاعا شاهقا .. إنها أمة لا يسقط شهداؤها .. ولكنهم يرتفعون .. ويتخذهم الله تعالى شهداء فى مقعد صدق عند مليك مقتدر .. فلا يموتون ..

وهكذا .. يثور الوحش الكامن فى صدورهم فى الوقت الذى تأخذ الامة الاسلاميه وضعها اللائق مهيمنه على الناس .. وهنا تبدأ مهمتها التى أرست قواعدها بالأمس البعيد .. حين أدركت نبل " اخيهم يوسف " .. بكل ملامح الكمال فيه .. فقرروا استبدال الستار على الطهر الذى تمثله .. وقرروا ايضا اهلاكه .. لتعيش الحياه بلا مستقبل .

على هذا المنوال وقف المغرضون من بغداد قديما .. وبالتحديد فى القرن الثانى الهجرى من حيث كانت بغداد حينئذ منطلقا لحضارة اسلامية زهرة .. وبسبب من تفوقها عسكريا وعلميا وايمانيا فى عهد هارون الرشيد .. حظى هذا العهد بمزيد من المؤمرات ..

لقد كانت كتب بغداد - كما يقول المؤرخون - تظهر فى الشرق .. ثم تنتقل بسرعة الى الاندلس فى الغرب .. ومن الاندلس تنساح فى فجاج اوربا .. وفى عهد هارون الرشيد . كانت نهضة علمية كونية ..

ونذكر هنا تلك الساعة الدقاقة التى اهداها الرشيد الى " شارلمان " مسجلة تفوق العقلية العربية الاسلامية .. بينما كانت اوروبا حينئذ غارقة فى الظلام .. الى حد حمل الناس هناك على الذعر من تلك الساعة التى ظنوا ان بداخلها !!

من اجل ذلك حظى هارون الرشيد بالذات .. بحملة كاذبة خاطئة . لانه كان بتفرده تعبيرا عن الفكرة الاسلامية التقدمية ..

الامر الذى اغاظ الكفار فرموه بكل نقيصة بينما كان الى جانب تقدميته التقى النقى المجاهد : يحج عاما .. ويغزو عاما ..

وليراجع المنصفون قصة حياة الرجل .. وعلى ضوئها .. ستبدو خيوط المؤامرة التاريخية على كل ما هو أصيل ونبيل .

ومازال العراق يبذل فطرته

واليوم يأخذ العراق طريقة اللاحب مجاهدا .. مجددا .. مخترعا .. فكان ان اغاظ الله تعالى به الكفار .. فتحرك الحقد القديم ..

لقد تمرد العراق على الواقع المتخلف .. وتجاوز الانقسام المفتعل .. والمظهر الشكلى للاسلام وما يخفية من مساوئ ..

ثم ها هو ذا على ما يقول بعض الكاتبين :

(يعيش الدين حضارة متجددة . تتفاعل مع روح العصر فى سمو ومثالية .. فتتطور فى طريق الغد تطورا مصحوبا بما ورثناه من حضارة إسلاميه ارتبطت أتم الارتباط بالدين) ومن ثم كان شوكة فى حلف العدو :

(فاوروبا اليوم . كما كانت فى الماضى . تخاف على نفسها من الاسلام . ولكنها تعلم الان ان قوة الاسلام قد بعثت وظهرت بمظهر جديد هو القومية العربية .

لذلك فهى تواجه الى هذه القوه الجديدة كل اسلحتها . بينما نراها تصادق الشكل العتيق للاسلام وتعاضده) [1]

وهكذا اخذ العراق مكانه فى الصدارة يعلم :

(ما يجب أن يعيشه العربى المسلم الان من جديد :

رساله دينية : يحملها فى روحه . تطالبه ان يعتز بنفسه وقومه .

وان يؤكد هذا الاعتزار بشعوره وفكره وعمله .

وان يحيا هذه الشخصية العظيمة - شخصية الرسول - فى اطارها الدينى والعربى . بكل ما لها من روعة . وجلال :

(فيستطيع اى عربى ان يكون مصغراضئيلا لمحمد . ﷺ مـــا دام ينتسب الى الامة التى انجبت محمدا .

اوبالاخرى : ما دام ينتسب الى الامه التى حشد محمد كل قواه فانجبها)

وبذلك نستمد من حياة الرسول الخاصة دفعة قوية لا عتزاز العربى بيقيمته وقومه)

---

(١) ذكرى الرسول العربى ١٥

وقد تالبت قوى عالمية تتنادى بالاثم والمعدوان ومعصية الرسول مستهدفه امة تنعى الى الاعداء انفسهم بما ملكت من أصالة وتفوق . ولم تكن الاخطار لتثنى العراق عن المضى فى سبيله ..

ان لم تكن هذه الاخطار نفسها دافعه له الى الامام .

ذلك (بان محار البحار الذى يصنع اللؤلؤ .. انما يصنعه حين يقتحم جسم غريب عالم اللؤلؤ الداخلى .

وكأن الجراح اللآلى)

وبقى العراق .. يتحرك على الساحة .. تحرك الاسود .. وسط الغابة من الثعالب تتلون كالحرباء .. وتراوغ كالثعلب ..

ثم انتصر أخيرا .. لانه يملك عناصر هذا الانتصار .. ولانه يحمل خصائص الامة العربيه التى عرفت امريكا .. قبل ان يعرفها الغرب .. واقتحمت المحيط قبل ان يقتحمة " كولمبس " ولانه يحمل ايضا روح الاسلام حين اغاظ الله به الكفار .

مزاعم قديمة .. جديدة

قلنا ان اليهود سخروا من انتصار المسلمين فى بدر الكبرى .. ظانين بالاسلام ظن السؤ ..

وقد خيب الحق تعالى ظنهم ..

لقد زعم اليهود قديما بأن احتكاك الاسلام باليهود سيقضى عليه .. فماذا حدث ؟

عندما سمع اهل المدينه صوت النبى ﷺ هبوا منشدين :

طلع البدر علينا ..

رغم صوت اليهود الصارخ قبل مجيئه .. واذا العالم الاصغر يزداد بسطة .. وما هو الا قرن من الزمان حتى مدت الجزيرة العربية ذراعها الايمن : الى دلهى .. وذراعها الايسر : الى غرناطه !

وها هم اولاء يرددون نفس النغمة ..

وقالوا :

احتكاك الاسلام بالحضارة سيقضى عليه .

وقالوا :

قد يبقى الاسلام اذا ترك لنفسه .. اما اذا احتك بالتمدن الحديث .. فإنه يموت لا محالة ..

ولكن : هل مات الاسلام ؟

انه يؤذن اليوم فيملأ اذانه الدنيا .. ولعلهم كانوا ينظرون اليه من خلال قلة .. فى حقبة .. فضلوا فى حكمهم .

من توجيهات القرآن الكريم

يقول الحق سبحانه وتعالى فى سورة البقرة :

﴿ ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى ياتى الله بامره ان الله على كل شيئ قدير واقيموا الصلاة واتوالذكاة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعلمون بصير .

وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا اونصارى تلك امانيهم قل هاتو ابرهانكم ان كنتم صادقين بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون .

وقالت اليهود ليست النصارى على شيئ وقالت النصارى ليست اليهود على شيئ وهم يتلون الكتاب .. ﴾ (١)

تطالعنا الايات الكريمة بما يلى :

﴿ مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولاالمشركين .. ﴾ (٢)

١ - الحقد المقيم يشعل رغبتهم فى أن تكون معهم فى المستنقع الاسن (ود كثير من أهل الكتاب لو يرد ونكم ..

٢ - عقدة الشعب المختار تملى لهم :

(وقالوا لن يدخل الجنه الامن كان هودا اونصارى ..

٣ - وحين يبذلون فطرتهم هكذا فان الايه الكريمة تهيب بالامة ان تقوم بدورها :

أ - فى ظل سياسة من ضبط النفس .. ومجاوزة الانفعال وركوب

---

(١) سورة البقرة ١٠٩ / ١١٣ (٢) سورة البقرة ١٠٥

موجة الحماس المندفع :

(فاعفوا واصفحوا ..) صمت .. ولكن فى تفكير .. سكوت .. ولكن فى تدبير ..

ب -ويظل الامر هكذا حتى تجئ ساعة الصفر (حتى ياتى الله بامره)

جـ - ومهما بدا الاعداء اقوياء فهم خواء ..امام القوة التى لاتغيب :
(ان الله على كل شيئ قدير)

د - وخلال ذلك يتم الاعداد الايمانى والعسكرى بالصلاة :

(واقيمو الصلاة)

هـ - تظللنا روح التكافل الاجتماعى .. وبه يعود الواجدون على الفاقدين بما يقوى ظهرهم .. حيث تلتقى الخبرة بالطاقة .. حتى نستغنى عن اعدائنا لنحقق رجاء سلفنا الذين قال قائلهم :

(اللهم اغننا عمن اغنيته عنا .. اللهم لا تجعل لفاجر عندى نعمة اكافئه بها .

و - وبهذه المشاركة الوجدانية العملية يتألف ايماننا .. وتتأصل روح الجهاد فينا .. وهو ما يتقمة الاعداء منا .. نعجب الزراع .. ليغيظ الله بنا الكفار .

ز - وسوف يذهب الزبد جفاء ..

(فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض)

ح - أجل يذهب الخبيث ولوأعجبك كثرة الخبيث .. وهذا ما أشارت اليه الآية الكريمة التى معنا حين اشارت الى تفاهة التحالف الباغى بين قوى العدوان وكيف لا يستمر طويلا : وها هم اولاء يلعن بعضهم بعضا ..

(وقالت اليهود ليست النصارى على شئ

وقالت النصارى ليست اليهود على شئ)

واجبنـــا اليوم

ان لحظات الخطر اقدر على جميع شمل الامة اكثر من لحظات السرور .. وليس هناك خطر اكبر مما يتهدد امتنا اليوم فلابد من أن نتحد فى مواجهة الخطر الداهم : وها هو ذا معنى الوحدة والقوة يتجسد على ارض العراق .

وحين يفعل العراق اجمل ما يليق به من التضحية .. فقد وجب على المسلمين ان يفعلوا أجمل ما يليق بهم من مساندته .

يجب أن تلتف القلوب حول هذا البلد العظيم ..

أولا :

لانه بلد عربى اسلامى .

وقد روى عن سلمان رضى الله عنه قال :

قال لى رسول ﷺ : لا تبغضننى .. فتفارق دينك قلت : وكيف ابغضك يارسول الله ؟ وبك هدانى الله قال :

تبغض العرب . فتبغضنى .

وقد اهتم ﷺ فى مرض موته بالعرب وأوصى بهم خيرا .

وثانيا :

لأن العدوان عليه والتربص به عدوان على الامه كلها من حيث كان موطن القوة .. وكان شهادة على قدرة أمتنا على الانتصار والاستمرار .

على ان يكون اعتمادنا بعد الله تعالى على ما منحنا سبحانه من قوى ذاتيه قادرة على الوصول بنا الى ما نريد .. متجاوزين ما يراد بنا من قبل اعداءنا .

ملاحظة لبعض الباحثين :

اجسامنا .. لا تخلط بين العدو .. والصديق .

ميكروب " التيفود " يستطيع قتل ميكروب " السيلان " اذا وجدا فى جسد واحد . لان التيفود يرفع حرارة الجسد .. الى حد يقتل ميكروب السيلان .

ولـــكن

هل يقبل الجسد المصاب بالسيلان .. ان يدخله التيفود .. ليخلصه منه ؟ . كلا ! لان التيفود يعيش بالتهام خلايا الامعاء .. فوجوده مدمر ..

ولايمكن ان يقبله لمجرد انه عدو عدوها .. ما دامت مصالح هذا التيفود متناقضة مع اجسامنا .. وحياتها مرتبطة بالقضاء عليه .. وحياته مرتبطة بالقضاء عليها !

ومع هــذا

فالاجسام على وفاق مع ميكروب اخر .. يعيش فى المعدة بالتهام بعض الفضلات التى لايستطيع الجسم هضمها .. فالجسم يستفيد منه . لانه يخلصه منها .. وايضا بفرز مادة يتغذى بها الجسم وهو يستفيد من الجسم .

اجسامنا تفهم من هو الصديق .. وهو ما تتفق مصالحها معه . وتفهم ان عدوها من تتناقض مصالحها مع مصالحه ..

ترى : لماذا لا تفهم عقولنا ما لا تفهم اجسامنا ؟!

واذن .. فاصطدام مصالح امريكا وروسيا فى بلادنا لا يخول لنا الاستعانه بالاولى على طرد الثانيه ..

فكلاهما يستفيد من وجوده بيننا .. وحياتنا فى القضاء عليه ..

وحياته فى القضاء علينا !!

فلتتقدم امتنا لتمسك بزمام المبادرة :

ان واقع العالم اليوم ليؤكد قدرة العقلية العربية والاسلامية على ان تصوغ حياتها بقيمها وامكاناتها .. - وللعراق نصيبه الأوفى -

وهو يؤكد فى نفس الوقت فشل القوى الكبرى فى قيادة السفين :

لقد زعمت الشيوعية انها جاءت لا نقاذ الفقراء من براثن الحاجة .. وزعمت الرأسمالية ايضا انها بضع كل امكاناتها .. لخدمة الشعوب النامية اسهاما منها فى رفاهية الانسان حيثما كان .. وسداً للفراغ الذى خلفته الشيوعية الدوليه ..

فماذا كانت النتيجة ؟

كان عاقبة امرها خسرا .. حين أرادت كلتاهما أن تخرج الشوكة المغروزة فى قدم الانسان .. بشوكة آخرى .. فانكسرت الثانية .. وبات المصاب يلاقى الأمرين !!

أما الشيـــــيوعية :

فقد حرضت العمال والفقراء على الاغنياء .. وأشعلتها بين الفريقين نارا حامية .. والواقع اليوم - على مستوى العالم - شاهد يغنى عن كل تعليق ..

واما الرأسمالية :

فقد قدمت المعونات .. ولكن هذه المعونات لم تطفئ حدة الصراع الناشب .. وبقيت الشعوب المغلوبة على عهدها القديم .. تقبل المعونات تحت ضغط الحاجة .. لكنها تعلن صاحبها .. لأن نواياه لم تكن مخلصة .. فربما قدم المعونة لدولة فقيرة .. حتى يزيد قوتها الشرائية لمعروضاته الاجنبية !!

فهو يخدم مصالحه القومية اولا واخيرا .. وناهيك تعصب يغلى فى صدور .. تعطيها المال .. وتسرق منها ما هو اغلى من المال .. الكرامة الانسانية .

يقول الندوى مخاطبا الدول الكبرى :

(ايها السادة : أن لكم مساهمة فعالة . كبيرة القيمة للنهوض بالشعوب الشرقية . ولكن أقول لكم أن هذه الشعوب التى تنفقون عليها ملايين الملايين لاتحبكم . انها لا تتمنى لكم السعادة . انها تتمنى لكم كل عثرة . وتتربص بكم الدائرة . وتشمت بكل ما يصيبكم من أحداث . وتشفى نفسها بذلك .

إنها تنعم فى ظل مساعداتكم . ولكنها لا تحفظ لكم هذه اليد . ولا تعترف بالجميل . لانها تصدر عن غير إخلاص . إنها مساومات سياسية واقتصادية وتجارية .

فهذه الشعوب تأكل من رقدكم .. وتتطفل على موائدكم لكنها لا تضمر لكم الاخلاص والحب .. لماذا ؟

لان عطاءكم الحضارى وما تغمرون به هذه الشعوب من روافد ومن مساعدات لا تصدر عن اخلاص .. لا تصدر عن أعماق القلب انها كلها مساومات ومبادلات تجارية) [1]

وصدق الندوى اذ يقرر ذلك .. فلو صدقت نيات هذه الامم الكبيرة .. لاحتفظت بفائض القمح والبن فيها .. لتنفقه على الذين يموتون جوعا من بين يدها ومن خلفها لكنها تقدمه طعمه لحيتان البحر .. ولا تقدمه للفقراء .. انتصارا لاقتصادها الذى يجب أن يظل مزدهرا !!

وانها لتفصح عن نواياها الحقيقية حين تفضل الحيتان .. على الإنسان !! كما سبق أن أشرنا .

---

١ - البعث الاسلامى ذو الحجة ١٤٠٤

وبعـــد

فان الليل المظلم الطويل لايستطيع أن يطفى شمعة الامل فى نصر قريب .. ولكن يمكن أن تطفئها نفثة حاقدة تستغل منفذا واهنا .. فلتيقظ امتنا .

ولتبزل فطرتها .. هذه الفطرة القادرة على صد العدوان ..

وإن امتنا لتملك من عناصر الخلود ما يبقيها على القمة دائما .. انها أمة تحاول أن تكره .. فلا تستطيع .. ويحاول اعداؤها أن يحبوا .. فلا يستطيعون .. اننا أمة ثروتها الاخلاق .. والثقة بالنفس .

وأين منها أمم :

ساءت أخلاقهـــا .. فحاق بها الكره ..

وساءت ظنونهـــا .. فلم يثق بها أحد ..

فهل يستوون ؟

لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ..

لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث ..

لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون .



كيف يصوغ الإسلام
الشخصية المتسامحة

قـال ﷺ : (الناس كشجرة ذات جنى . ويوشك أن يعودوا كشجرة ذات شوك : إن ناقدتهم .. ناقدوك .. وإن هربت عنهم .. طلبوك .. وإن تركتهم .. لم يتركوك . قيل يارسول الله : وكيف المخرج ؟

قال : أقرضهم من عرضك .. ليوم فاقتك) .

وإذا كان رضا الناس غاية لاتدرك فلابد من التنازل عن بعض الحقوق ليقبل عليك الناس .. موقنا أنك مهما فعلت .. فلعلك لاتسلم منهم !

ولقد كان فى الناس من يؤثر معاملة الناس بالمثل .. مؤثراً قطيعتهم (لأن رغبتك فيمن يزهد فيك : ذل .. وزهدك فيمن يرغب فيك صغر همة)

قيل للمهلب بن أبى صفرة :

ماتقول فى العفو والعقوبة ؟

قال : قضية مهمة . تدل على جدية الأمة وقال : هما بمنزلة الجود . والبخل .. فتمسك بأيهما شئت .

وإن الطيور على أشكالها تقع !

ودون هؤلاء .. يعبر المتسامحون عن روح الإسلام .. حتى لايمنع الكريم خيره .. ومن أجل أن يكف اللئيم شره .

ولكن .. ماهى الوسائل التى تجعل من السماحة طبعاً .. لامجرد أداء آلى .. لا روح فيه ؟

قال علماؤنا :

١- عليك - وقبل أن تطلب من الاخرين الاهتمام بل .. عليك أن تهتم أنت بهم قبل ذلك : و (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) .

٢- ومن الاهتمام بهم : أن تكون أنت البادئ بالتحية (وخيرهما الذى يبدأ بالسلام) .

٣- (تبسمك فى وجه أخيك صدقة)

والبشاشة : غير مكلفة .. « فلا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه باش » .

٤- توقير الكبير وأهل الفضل : حيث « ليس منا من لم يحل كبيرنا ويرحم صغيرنا . ويعرف لعالمنا حقه » .

« أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم » رواه مسلم

٥- مشاركتهم ظروفهم : حق المسلم على المسلم ست :منها : إن أصابه خير هنأته ، وإن أصابته مصيبه عزيته .

٦- حفظ الاسم : ولاتنابزوا بالألقاب .. فالاسم خيط فى نسيج الشخصية.

٧- حسن الخلق : أكمل المومنين إيماناً أحسنهم خلقا

٨- الحرص على الاستماع إلي محدثك أكثر من حرصك على الكلام.

٩- تقدير الصنيع : « من صنع إليكم معروفا فكافئوه . فإن لم تجدوا ماتكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه » .

و: « من قال جزاك الله خيراً فقد أجزل العطاء » .

١٠- ترك الجدال

١١- إبراز مواطن الموافقة .

١٢- إخبار من تحبه بأنك تحبه : وقد قال ﷺ لمعاذ : إنى أحبك .

ومن سنته ﷺ :

(إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره وليقل : إنى أحبك فى الله . وإنى أودك فى الله عز وجل) [١] .

لماذا إخباره ؟

يقول الحديث :

(فإنه أبقى فى الألفة .. وأثبت فى المودة)

١- يبادلك نفس الحب .

٢- يحبك كل من يحبه .

٣- تتسع بكما دائرة المودة .

٤- ستسعى فى مصلحته . وتدفع الضر عنه .

٥- وهو كذلك يفعل .

٣- إذا حدث هجر فمن واقعية الإسلام أن اعترف بذلك .. وحدد لك ثلاث أيام .

ومن الوسائل :

المبادرة بتقديم العون إلى الآخرين . فإن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها .

---

(١) الحديث فى الصغير / ٣٦٠ ورمز لضعفه .

إذا كانت الجنة غاية المسلم .. فطريقها السلام :

(لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا .. ولاتؤمنوا حتى تحابوا .. ألا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم ؟ ... أفشوا السلام بينكم) .

الطريق إلى إنشاء عاطفة المودة

قيل : (إذا أردت أن تواخى أخا .. فأغضبه .. فإن أنصفك وهو مغضب .. وإلا فاحذره) .

أى .. احذره .. خالطه .. على حذر ولاتتركه .

تنمية مشاعر الحب .

١- إذا أحببت رجلاً فسله عن اسمه واسم أبيه . وعشيرته ومنزله : فإن كان مريضاً عدته . وإن كان فى حاجة أعنته . وإن كان غائباً حفظته فى أهله. [١] .

إن الحب معرض للذبول .. فلنبق عليه غضاً طرياً .. بهذه المجاملات .

ثم :

٢- بالامتناع عن كل مايفسد هذه العلاقة :

إذا أحببت رجلاً فلا تماره . ولاتجاره ولاتشاره . ولاتسأل عنه أحداً .. فعسى أن توافى له عدوا . فيخبرك بماليس فيه فيفرق مابينك وبينه.[٢].فلنقطع بظاهر الإنسان :

---

١) الجامع الكبير ١٠٢١ .

٢) الجامع الكبير ١٠٢٢ .

ولتبق المودة مورقة فى صدورنا .. بالتخلى عن :

أ- عن جدال من نحبه .

ب- وعدم الدخول فى مهاترات تثير حظوظ النفس مع من نحبه .

ج- ولاتفعل به من الشر مايفرض عليه الرد عليك بمثله !

د- ولنكتف بمعرفتنا الشخصية « لنا الظاهر دون التعمق فى البحث عن الدقائق فراراً من منافس له يدعى عليه ماليس فيه فيفرق بيننا .

قال أبو تمام :

إن نختلف نسبا يؤلف بيننا   أدب أقمناه مقام الوالد

أو يختلف ماء الحيا فسماؤنا   أبداً تحدر من غمام واحد

من أسباب العفو

هناك أسباب تحرض المظلوم على نسيان ماحل به . ليتخذ من العفو ركوباً إلى عهد جديد :

١ -أن يكون واقعياً :

مدركاً أن من ظلمه إنسان .. ومن بني آدم وكل بني آدم خطاء .. وليكن عفونا عنه باعثاً له على الندم على مافعل بنا .

ومن هنا قيل !

« لاصديق لمن أراد صديقاً لاعيب فيه »

وقد سئل حكيم :

هل من أحد لاعيب فيه ؟

فقال : من لاموت له !!

وإذن فلابد من الصبر :وإذا لم تصبر .. ظلمت نفسك :

إذا أنت لم تصبر مراراً على الأذى

ظمئت .. وأي الناس تصفو مشاربه

إذا كنت في كل الأمور معاتباً

صديقك .. لم تلق الذي لاتعاتبه !

وهذا هو قدر الإنسان .. وعليه أن يتلقاه بالتسليم :

وشر الإخاء من لم يزل .·. يعاتب طورا . وطورا يذم

يريك النصيحة عند اللقا .·. ويبريك في السر بري القلم !

٢ - الإحاطة بمصادر الفتنة .. ثم محاولة سدها

ومنها : القوة الغضبية .. وقد قال الحكماء :

أصول المعاصى كلها ثلاثة :

الأول : تعلق القلب بغير الله .

والثانى : طاعة القوة الغضبية .

والثالث : طاعة القوة الشهوانية .

٣ - مراقبة قلبك .. وبدقة .. حتى تعرف من أين تهب عليه ريح الفتنة

حتى أحسست منه قسوة كنت أقدر على معرفة الدواء .. بعد معرفة الداء :

وقد قالوا : إن القلب يكون قاسياً من أربعة أشياء إذا جاوزت قدر الحاجة وهى : الأكل - والنوم- والكلام - والمخالطة .

سئل أحد الصوفية :

كم يأكل الرجل فى اليوم ؟ أكلة ؟

فقال : هذا أكل الصديقين

قيل : فأكلتين ؟

قال : أكل المؤمنين .

فلما قيل : فثلاث أكلات ؟

قال :

قل لأهله : ابنوا له معلفا !!

٤ - هناك مجالات صالحة .. وأخرى طالحة .. وعلينا أن نرتاد بالقلب ماكان من هذه المجالات صالحاً .. ونتجنب ماكان طالحاً :

وقد حدد المربون هذه المجالات فقالوا :

المجالات السافلة هى :

دنيا تتزين لنا .. ونفس تحرص .. وعدو يوسوس .

وأما المجالات العالية فهى :

علم يتبين لنا .. وعقل يرشد .. والتوحيد .

وسلامة القلوب أن تكون جوالة فى هذه المواطن .

٥ - وعلى المظلوم أن يفرق بين نوعين من الخطأ :

أ- هفوات .. لايمكن الاحتراز عنها .. فهى مغفورة .. لتعذر الاحتراس عنها .

ب- وأخري شديدة الوقع .. يصعب تجاهلها .

وحتى هذه الكبائر .. ربما وقعت سهواً . فهى غير المتعمدة .

وحتى هذه لابد من التفرقة بين فاعل وفاعل .

فربما كان عدوا شريراً .. وإذن : فالشر لايطفئه إلا الشر .. مع الأخذ فى الاعتبار أن الإطفاء بالخير أولى .

ذلك بأن الانتقام لايساوى مانحرقه من أعصابنا .

ويكفيك أيها المظلوم من الله نصراً أن ترى عدوك مخذولاً يعصى الله عز وجل .

فاحمد الله على ذلك .. وتذكر من عزى والدا لقتيل قائلاً له :
أحمد الله أن كنت والداً لقتيل ولم تكن والد القاتل .. يعنى :
أنك فى موقع المطيع وهو في موقع العاصي .
ولهذا فالله تعالى معك .. عليه !
وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً .

٦- لـؤم المعتدى

وقد يكون المعتدى لئيماً .. وإذن : فالتغافل عنه أولى .. ومن كرم الشريف ألا يقابله بالمثل .

وذلك فى قوله البحترى :

فأقسم : لاأجزيك بالشر مثله .·. كفى بالذى جازيتنى لك جازيا

ومن شرف الكريم : تغافله عن اللئيم وكل إناء بالذى فيه ينضح .

٧- صداقة المعتدى

وقد يكو المعتدى صديقاً لك تنكر لصداقته وإذن .. فالإغضاء عنه أولى .. والعفو هنا دواء يسميه المربون :

تعاهد المودة بالإغضاء .. لتظل باقية !

وقد قيل فى ذلك :

أقل ذا الود عثرته وقفه
على سنن الطريق المستقيمة
ولاتسرع بمعتبه إليه
فقد يهفو .. ونيته سليمة

٨ - مما يساعد على العفو :

معرفة طبيعة الإنسان .. ومافيها من غرائب ..

هذه الطبيعة التى وصفها الإمام على فقال :

وأعجب مافى الإنسان : قلبه :

وله مواد في الحكمة .. وأضداد من خلافها :

فإن سنح له الرجاء .. هاج به الطمع .. وإن هاج به الطمع .. أهلكه الحرص .. وإن ملكه اليأس .. قتله الأسف . وإن عرض له الغضب .. اشتد به الغيظ .

وإن سعد بالرضا .. نسى التحفظ .. وإن ناله الخوف .. شغله الحزن .. وإن أصابته مصيبة .. قصفه الجزع .

وإن أفاد مالا .. أطغاه الغنى .. وإن عضته فاقة .. شغله البلاء .. وإن جهد به الجوع .. أقعده الضعف .. وكل تقصير : به مضر .

وكل إفراط : له فسد .

إنه إذن .. التركيب المعقد .. وفى عماية من هذا الطبع يجاحس ويفاحش .

فإذا أضفت إلى ذلك أن هذه طبيعة الظالم والمظلوم معا .. كان العفو واجباً ... على الأقل .. لنخرج الغاضب العاصى من الظلمات إلى النور :

من ظلمة الطبع .. إلى نور التسامح

إن من نتائج المعصية :

(قلة التوفيق .. وفساد الرأى .. وخفاء الحق .. وظلمة القلب .. وخمول الذكر .. وإضاعة الوقت .. ونفرة الخلق .. والوحشة مع الرب .. ومنع إجابة الدعاء .. ومحق البركة .. فى الرزق والعمر .

ثم : لباس الذل .. وضيق الصدر)

وتأمل كيف تصنع المعصية بمن اقترفها :

إنها ريح عاصف لاتذر من شئ أتت عليه إلا جعلته كالرميم .. وكيف عطلت كل مواهب الإنسان .. فخسر بشؤمها كل شئ .. فمات .. قبل أن يموت !

وإذا كان الطبيب للمرضى .. وليس للأصحاء .. فإن أولى الناس بعفونا ذلك المريض.

وفى مجال التطبيق نطالع ذلك المشهد :

قيل للزوج الحكيم :

ماأكثر ماتؤذيك زوجتك .. لكنك ترفض أن تجازها السيئة بالسيئة .. فقال الرجل :

يعاملنى خالقى بالعفو .. وتلك عادته سبحانه وتعالي معى ..

وأخاف أن أقطع عادة العفو عنها .. فيعاقبنى الله سبحانه بقطع عادته معى !

وهكذا يخجل الزوج الوفى زوجته بهذا التسامح .. التسامح الذى أغضب الشيطان ثم أرضى به الرحمن !

٩ - بالعفو تكون قد هزمت نفسك الأمارة بالسوء ..

وهو نصر يقود إلى نصر .. تصير به صانع قرارك « ودائماً » :

سوف ينفسخ أمامك الطريق ممهوداً محموداً .. ليتبعك على الطريق آخرون ممن سننت لهم بالعفو سنة حسنة .. فازداد طابور المتسامحين امتداداً .. ولسوف تخجل الطرف الآخر . والذى يتحول الموقف فى حسه ذكري مرة .. لن يكررها مع أحد من بعدك .

ومن معانى ذلك العفو :

تراجع الانفعال .. ليحل الهدوء .. وفى الهدوء تكون القرارت ناضجة منتجة .

١٠ - إعانة الغاضب على أمر الله

وفى إمكاننا أن نعين الغاضب حتى لايستمر غضبان :

تزوج المهدى الخيزران بعد أن اشتراها من سوق النخاسة فولدت له الهادي والرشيد ولم تلد امرأة خليفتين غيرها وغير ولادة أم الوليد وسليمان ابنى عبد الملك ، ويحكى الواقدى عن المهدى والخيزران هذه الحكاية فيقول : دخلت يوماً إلى المهدى فدعا بمحبرته ودفتره ، وكتب عنى أشياء حدثته بها . ثم نهض وقال : كن مكانك حتى أعود إليك ، ودخل إلى دار الحريم ، ثم خرج ممتلئاً غيظاً . فلما جلس قلت : ياأمير المؤمنين خرجت على خلاف الحال التى دخلت عليها ؟ فقال : نعم ! دخلت على الخيزران فوجدتها غضبى ، وقالت : ياقشاش ، أى خير رأيت منك ؟ وسكت هنيهة ثم قال : إننى اشتريتها من نخاس ، وعقدت لابنيها ولاية العهد ، فهل أنا قشاش ؟ «القشاش جامع القش » .

فقلت : ياأمير المؤمنين : قال رسول الله ﷺ عن النساء : « إنهن يغلبن الكرام ، ويغلبهن اللئام » وقال : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى » . وأخذت أحدثه عما حضر فى ذهنى من أحاديث الرسول ﷺ ، فسكت عنه الغضب ، وأسفر وجهه ، وأمر لى بألفى دينار . فأخذت المبلغ وانصرفت . فلما وصل إلى منزلى وافانى رسول الخيزران ، وقال : تقرأ عليك سيدتى السلام وتقول لك : ياعم ! قد سمعت جمعاً كان به أمير المؤمنين ، فأحسن الله جزاءك ، وهذه ألفا دينار عن دنانير بعثت بها إليك ، لأنى لاأحب أن أساوى صلتى بالمؤمنين .

المهدى..والأعرابى

خرج الخليفة العباسى المهدى يتصيد ، فغار به فرسه حتى وقع فى خباء اعرابى فقال : يااعرابى هل من قرى ؟ « أى ضيافة » فاخرج له قرص شعير فأكله ، ثم أخرج له فضلة من لبن فسقاه ، فلما شرب قال للاعرابى :

أتدرى من أنا ؟ قال : لا

قال : أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة .

فقال الأعرابى : بارك الله لك موضعك .. ثم سقاه مرة أخرى فشرب .

قال المهدى : يااعرابى أتدرى من أنا ؟

فقال : زعمت أنك من خدم أميرالمؤمنين الخاصة .

قال : لا أنا من قواد أمير المؤمنين .

فقال الاعرابى : ربحت بلادك وطاب مرادك ثم سقاه الثالثة .

فلما فرغ قال :

ياأعرابى أتدرى من أنا ؟

قال : زعمت انك من قواد أمير المؤمنين .

قال المهدى : لا ، ولكننى أمير المؤمنين .

فأخذ الاعرابى الركوة [1] فوكأها وقال :

إليك عنى فوالله لو شربت الرابعة لادعيت أنك رسول الله ! فضحك المهدى ثم أحاطت به الخيل ونزل إليه الأمراء والأشراف فطار قلب الاعرابى فقال له المهدى : لا بأس عليك ولاخوف ثم امر له بكسوة ومال جزيل .

ولقد أنقذ الاعرابى .. ذكاؤه .. وخفة ظله .. لقد كان الموقف صعباً .

ومن صعوبته :أن الطرف الآخر خليفة

والساخر .. فى أدنى درجات السلم الاجتماعى والحاشية من حوله رهن إشارته .. ومع ذلك فقد عفا .. ولكن عن مقدرة .. بعدما سمع من الأعرابى ورأى ماأثلج صدره .. فكان عوناً له على الإحسان .

حاشية السوء

وقد يكون لحاشية السوء دورها الماكر فى حمل الظالم على مزيد من الظلم :

ظفر الرشيد برجل من الخارجين عليه فقال له : ماتريد أن أصنع بك ؟ قال الرجل : الذى تريد أن يصنع بك الاله إذا وقفت بين يديه . ولاأجد الآن أذل منى بين يديك . فأطرق الرشيد ثم قال : اذهب حيث شئت .. فأغراه

(١) الركوة : دلو صغير أو قربة والوكاء : حبل يربط به فم القربة .

جلساؤه به وحذروه منه فزمجر برده فلما حضر قال : ياإمام الأئمة لاتطعهم فى فلو أطاع الله فيك خلقه ما استخلفك عليه فعجب من قوله وكمال فطنته وخلى سبيله لقوة حجته وتمام ذكائه .

وتأمل دور حاشية السوء .. الذين حاولوا الوقيعة به .

ولكنه فى النهاية انتصر عليهم !

وتأمل إلى جانب ذلك مدى مسئولية الوزير عن اختيار أعوانه ..ثم لاحظ أن كل الناس ليسوا بلغاء كهذا الرجل الذى أنقذته بلاغته .

فماذا يفعل الخادم الغبى .. العيى ؟!

والأمر متروك لحكمة الوزير الذى يجب عليه أن يحسن الاختيار أمانا من العثار .. وإلا فلا يلومن إلا نفسه !

ونذكر هنا « عمر بن عبد العزيز » رضى الله عنه . والذى عين من حاشيته من يرى له .. ثم ينصحه ويبصره .

وربما نال منه واحد من رعيته .. فلم يمكن أحداً من حاشيته لينتصر له .. وإنما كان يتولى بنفسه حل المشكلة :

أغلظ له رجل في القول يوماً .. فماذا فعل الخليفة القادر على البطش به ؟!

لقد أطرق مليا ..

ثم لم يزد على أن قال للرجل :

أردت أن يستفزنى الشيطان . بعز السلطان .. فأنال منك اليوم .. ماتناله منى غدا ؟

وهكذا يدرك الخليفة أن يوم الظالم « أطول » من يوم المظلوم .. فنجا بهذا العفو من عدو مبين .

ولاننسى قصة سعيد بن العاص رضى الله عنه :لقد خطب « أم كلثوم » بنت على رضى الله عنهما .

ثم أرسل إليها مائة ألف .. وكانت المفاجأة أن أخاها « الحسين » رفض الفكرة .. رفضاً حمله على أن يقول لأخته : لا تتزوجيه !

ولكن الحسن قال لسعيد :

أنا أزوجك .. وتعاهدا على ذلك .

وفى حفل الخطبة سأل « سعيد » عن أبى عبد الله « الحسين » :

وأين أبو عبد الله ؟!

لعل أبا عبد الله كره منا شيئاً

ثم اتخذ سعيد قراره بهدوء قائلاً :

والله لاأدخل فى أمر يكرهه أبو عبد الله . ثم لم يغضب .

بدليل أنه ترك المائة ألف .. ولم يستردها !

مصادر العفو

من أى نبع يتدفق العفو وبأى كف يغدق .. حتى يصير فى القلوب جدولا يترقرق ؟ :

١ - من القرآن الكريم

٢ - والسنة المطهرة

٣ - ومن التشريع الحكيم

وذلك إجمال يحتاج إلي شئ من التفصيل :

أما فى القران

فإنك تجد قيمة العفو آخذة مكانها المرموق فى أى القرآن الكريم :

فى مثل قوله عز وجل :

﴿ **وأن تعفوا أقرب للتقوى** ﴾ البقرة « ٢٣٧ »

﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ﴾ النحل « ٩٠ »

﴿ **وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله** ﴾الشورى« ٤٠ » .

ولقيمة « التيسير » مكانتها اللائقة فى القرآن الكريم :

﴿ **يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر** ﴾ البقرة « ١٨٥ »

ويقول الحق سبحانه فى سورة فصلت :

﴿ **ولاتستوى الحسنة ولاالسيئة** ﴾ « ٣٤ - ٣٥ » .

كيف يتقى الداعية الأشرار من الإنس والجن :

الإنس :

﴿ **ادفع بالتى هى أحسن** ﴾

والجن :

﴿ **فاستعذ بالله** ﴾

وفى الفرق بين أشرار الإنس والجن قالوا :

شيطان الإنس : أشرس من شيطان الجن ولذلك .. فالأسلوب المناسب له هو : الحكمة .

أما شيطان الجن : فيمكن التغلب عليه بالاستعاذة فمدافعته أسهل؟!

ولاتستوى الحسنة : من الداعى .

ولاالسيئة : من المدعو .

ولأن المهمة صعبة .. فلا يصلح كل إنسان ليكون داعياً :

ومـايلقـاها إلا الذين صـبـروا .. الذين صـار الصـبـر لهم ملكة .. ولايكفى هذا .. بل لابد أن يكون له من تمكن هذه الملكة حظ عظيم .

من صور الانتصار على النفس

قال عبد الله بن عبد الله بن أبى للرسول ﷺ :

يارسول الله :

والله : ماملأت عينى منه .. هيبة .. ولكن .. لو أمرتنى بقتله ؟

ثم قال له بعد ذلك :

لو كنت أمرتنى بقتله .. لتورمت أنوف لو أمرت أحدكم الآن بقتله .. لقتله !! ولكن .. بالعفو .. كانت هذه النتيجة التى صارت لصالح الإسلام!

وفى السنة المطهرة

عن عائشة رضي الله عنها قالت :

(ماخير رسول الله ﷺ فى أمرين إلا اختار أيسرهما . مالم يكن وثماً . فإن كان اثماً كان أبعد الناس عنه . وماانتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لله بها .

قال شارح الشفاء :

« اختار أيسرهما » أى أهونهما على المخير وأسهلهما عنده . لأنه ورد عنه ﷺ « يسروا ولاتعسروا وإن الدين يسر » وقال تعالى « يريد الله بكم ليسر ولايريد بكم العسر »[1]

لكل شئ جانب سهل .. وجانب صعب .. فاعرضه من زاويته السهلة المقبولة حتى لايفر المدعو .. قال عليه السلام :

« بشروا ولاتنفروا » و: «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين».

---

(١) « الشفاء للقاضي عياض »

عن ابن مسعود رضى الله عنه :

كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فانطلق لحاجته .. فرأينا - حمرة - «نوع من العصافير » معها فرخان .

فأخذنا فرخيها .

فجاءت الحمرة : فجعلت تعرش « ترفرف » فجاء النبى ﷺ :

من فجع هذه بولدها ؟

ردوا ولدها إليها .

يقول علماؤنا تعليقاً على هذا الموقف :

كان ﷺ رحمة : لا للبشر فقط .. ولكنه كان رحمة للعالمين .

لكل حى : يلد .. ويتألم .. ويحس ..

ذلك بأنها من فيض الرحمن سبحانه وتعالي فهى تفيض على كل حى

ومن دروس الموقف :

أنه يعلمهم : التسامح والحب والأخذ بيد الضعيف ونصرة المظلوم .

أما إذا ذهب التراحم .. فإن الحياة فى غيابه تصير جامدة صماء .

عن ابن عباس رضي الله عنه قال :قيل يارسول الله :

قال : الحنيفية السمحة ..[1]

وتبدو هذه السماحة :فى الصيام :

﴿ يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر ﴾

وفى الحج :

---

(١) أنظر فتح البارى ج/١/٩٤ .

وكما قال العلماء :

إن المقصود من العبادات هو : استقامة النفس .. لا المشقة والإعنات وجاء في كتاب « رفع الحرج »[1]

شرعت النوافل: للمحافظة على الفرائض . ولتربية المسلم .. وتقوية صلته بالله عز وجل .

وطلب المواظبة على بعض النوافل ليس المراد منه الاتيان بها على هيئة شاقة :

وإنما : المداومة على هيئة لاتؤدى إلي الانقطاع :

فأحب الدين إلى الله ماداوم عليه صاحبه . وإن قل .

يقول النووى هنا :

(إن دوام القليل . به تستمر الطاعة بالذكر والمراقبة والإخلاص . والإقبال على الله . بخلاف الكثير الشاق .. حتى ينمو القليل الدائم .. بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافاً كثيرة) .

وفي هذا المعنى يقول ابن الجوزى :

(إن مداوم الخير : ملازم للخدمة . وليس من لازم الباب في كل يوم وقتاً كمن لازم يوماً كاملاً ثم انقطع) .

وهكذا يسرى عنصر التيسير .. وإن شئت قلت : عصارة التيسير .. في آى القرآن الكريم .. والسنة المطهرة .. والسيرة العطرة .. سبيلا إلي أن يأخذ المسلم سمته :

من فريضة العدل .. إلى فضيلة العفو .

---

(١) ١٠٥

أما بعد :

فإذا كان ﷺ خاتم الأنبياء .. فإن الدعوة من بعده مستمرة يقوم بها من تأهل لذلك .

لا بالسيف .. ولكن بالبرهان .. وفى الأثر (أسلم تسلم وإلا فعليك إثم الأريسيين) « الفلاحين »

فعليهم فتح الطريق ليعرف الشعب الإسلام

وكان عمر رضى الله عنه يقول للولاة :

(مابعثتكم لتضربوا أبشار الناس ولكن لتعلموهم أمور دينهم)

وبناء على هذا

فقد كان الجهاد وسيلة من وسائل الدعوة بهذا الاعتبار .. لامن حيث كونه مواجهة بالسلاح

ولما كان المسلمون أقوياء بمبادئهم .. فقد استمالوا أهل الأديان الأخرى

وكان المسلم يخير الذمى :

أن يسلم .. أو يعاهد .. فلا قتال أو الحرب !

ومن قوة المبادذ الإسلامية :

أنها لم تكن فى حاجة إلي السيف .. وإنما هى القيم : القدوة :

التدريب على ضبط النفس

روى مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ :

ماتعدون الرقوب فيكم ؟

قلنا : الذى لايولد له .

قال : ليس ذاك بالرقوب .. ولكنه الرجل الذي يقدم من ولده شيئاً .

قال : فما تعدون الصرعة فيكم « بورن : همزة »

قلنا : الذى يصرع الرجال .

قال : ليس بذلك .

ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب

تمهيد :

انطلاقاً من غريزة حب الذات .. فكلنا يطلب المجد لنفسه .

ولكن أين السبيل إلى تحقيق المجد المنشود !

لايمكن أن يكون السبيل هو التصارع والتدافع بالمناكب :

إنما السيل هو : مجاهدة النفس

ويعنى هذا أمرين :

الأمر الأول :

إدخار الطاقة .. لتكون رصيداً لدينا .. حتى نصرفها فى مجالاتها الطبيعية .

الأمر الثانى :

القدرة على كبح جماح النفس .. والتحكم فى العواطف .. قبل أن تكون عواصف !

ويتم ذلك :

أحياناً بين العبد وربه ... إذا مات عزيز لديه فصبر ..

أحياناً بينه وبين الناس .. فلا يعاملهم بالعدل .. ولكن بالفضل !

مظاهر الغضب :

١- تفور الدماء في العروق

٢- يندفع الدم إلى الوجه في حالة القدرة على الانتقام .. ويكون أحمر أو يرتد إلى القلب في حالة الضعف .. ويكون أصفر .

وفي حالة الاستواء : يتذبذب بين : الحمرة والصفرة وكل هذه العوارض .. من شأنها انتقاص العافية .

مباءات الغضب

وأكثر مايكون ذلك في الأحوال الآتية :

١- في حال المرض ٢- وفقدان التربية

٣- وانحصار التفكير في الواقع الماثل .. دون نظر في العواقب .

٤- أن يكون الغاضب واقعاً في قبضة أزمة اقتصادية أو مشكلة أسرية .

ومن أجل ذلك .. كان التحذير من تعاطي أسباب الغضب هذه .. فرارا من آثاره على الصحة النفسية .. والجسمية معا :

ولقد تواصى المتقون بالحلم . ثم العفو عمن أساء إليهم :

لماذا ؟؟

١- التزاماً بأمر الله . ٢- حفاظاً على هيبتهم .

٣- وعلى صحتهم . ٤- وعلى علاقاتهم الاجتماعية .

ومنهم الشاعر القائل :

سأصبر للزمان وإن رمانى .·. بأحداث تضيق بها الصدور

وأعلم أن بعد العسر يسرا .·. يدور به القضاء المستدير

وكانت وصاة الآباء للأبناء ماقال والد كبير السن لولده :

يابنى إذا خرجت من عدول لفظة سفه .. فلا تلحقها بمثلها فتلحها .

ونسل الخصام نسل مذموم . وأوثق غضبك بسلسلة الحلم .

فإن الغضب كالكلب : إن أفلت .. أتلف

المؤمن يبذل فطرته

وإذ يؤثر المؤمن التسامح مع من شغب عليه .. فإنما يبذل فطرته :

قال عمرو بن عبيد :

فى المؤمن ثلاث خلال : يسمع الكلمة التى تؤذيه ..فيضرب عنها صفحا .. كأن لم يسمعها « فكن كأنك لم تسمع .. ولم يقل »ويحب للناس مايحب لنفسه .

« ومن بين مايحبه أن يكون معفواً عنه »

ثم يقطع أسباب الطمع من الخلق

ويعنى ذلك كله : ضرورة التسلح بالصبر الجميع .. فى مواجهة تجاوزات الآخرين .. وقد قال الحكماء فى ذلك :

اشتر نفسك :

فالسوق قائمة ..

والثمن موجود ؟!

والثمن هنا هو : الصبر الجميل والذى هو عدة الأبرار .. وبه أمنوا من العثار :

يقول الشاعر :

على قدر فضل المرء تأتى خطوب .·. ويعرف عنه الصبر فيما يصيبه

ومن قل فيما يتقى اصطباره .·. فقد قل فيما يرتجيه اصطباره

ولقد ارتفع ناس فى باب الصبر إلى القمة الأعلى .. ومنهم معاوية رضي الله عنه والذى قال كلمته الباقية :

(ماوجدت شيئاً ألذ عندى من غيظ أتجرعه . ولم يعرف قيمة الأبهة .. من لم يجرعه الحلم غصص الغيظ) .

ومع هذا الجهاد .. جهاد النفس الأمارة .. فقد كانوا يستشعرون صعوبة المهمة .. ومن أجل ذلك كان منهم اللجأ إلى الله تعالى .. ليعصمهم من الذلل .. فى المواقف الصعبة .. والتى تتقاصر هممهم عن مواجهتها .،

ومن ذلك دعاء ذلك الأعرابى الذى قال .

اللهم :

إنى أعوذ بك أن افتقر فى غناك .

أو أضـل فى هـداك

أو أضام فى سلطانك

أو أضطهد والأمر لك

فهرس الموضوعات